الحياة الفكرية في المدينة المنورة من خلال الرحلة العياشية لأبي سالم العياشي ١٠٧١-١٠٧٣هـ/١٦٦١-١٦٦٣م

د. بنان محمد صلاح الدين*

تاريخ وصول البحث: ٥/ ١٢/ ٢٠١٨م تاريخ قبول البحث: ١٧/ ٢/ ٢٠١٩م

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الحياة الفكرية في المدينة المنورة خلال الفترة ما بين ١٦٦١ –١٦٦٣ م وذلك بالاعتماد بشكل رئيس على رحلة قام بها الرحالة المغربي أبو سالم العياشي للحجاز خلال تلك الفترة لأداء فريضة الحج وشد خلالها الرحال إلى المدينة المنورة لزيارة الحرم النبوي الشريف والأماكن الدينية الأخرى فيها. وتعد هذه الرحلة من أهم الرحلات المغربية لبلاد الحجاز خلال العهد العثماني لما اشتملت عليه من معلومات قيّمة وغنيّة عن مختلف الجوانب لا سيما الجانب الفكري. وتأتي أهميتها في هذا المجال أن كاتبها اعتمد في استقاء معلوماته من خلال مشاهداته العينية والمعاينة باعتبارها من المصادر الهامة لجمع المعلومات، بالإضافة إلى اعتماده على جملة من المصادر المكتوبة سواء كانت تاريخية أم دينية أم جغرافية.

وقسمت الدراسة إلى خمسة محاور، تناول المحور الأول العلماء المجاورين في الحرم النبوي باعتباره من أبرز مراكز العلم في العالم الاسلامي بعد الحرم المكي بفضل وجود العديد من العلماء المقيمين والمجاورين فيه. أما المحور الثاني فتناول المجالس العلمية والمحاورات والمناقشات والمناظرات الفقهية التي كان يحضرها العياشي وما كان يدور فيها من نقاش حول موضوعات مختلفة ،بالإضافة إلى تنوع حلقات العلم من سماع للأحاديث الشريفة والتفسير والفقه والقراءات وغيرها من العلوم الأخرى. واشتمل المحور الثالث على الحديث عن الإجازات العلمية التي حصل عليها العياشي من كبار العلماء في الحرم النبوي. بينما تضمن المحور الرابع الحديث عن المكتبات وخزائن الكتب الموجودة داخل الحرم النبوي. وتناول المحور الخامس والأخير الفنون والأغراض الشعرية حيث اتضح أن العلاقة بين الرحلة والأدب علاقة وثيقة لا سيما أن الرحلة تشكل مصدراً هاماً من النصوص الأدبية شعراً أم نثراً.

*أستاذ مساعد، كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة القدس.

The intellectual features of Al Madina Al Monawara through Al Ayyashia Travel during the period 1661-1663 A.D.

Abstract

This study aims to shed light on the intellectual life in Al Madina Al Monawara during the period 1661-1663 A.D, depending mainly on travel by Abu Salem Ayyashi to Hijaz during that period to perform Hajj and visit the Prophet's Mosque and other religious places. it is considered the most important visit because the author relied on collecting the information on his observations, as well as on a number of written sources, whether historical, religious or geographical.

The study is divided into five parts; the first part is about the scientists who live near The Prophet's Mosque and the second part is about the scientific discussions , discussions and jurisprudential opinions that were attended by Al Ayyashi and the discussion that took place on various subjects in addition to the diversity of the scientific community from hearing the Hadith, interpretation, jurisprudence, reading and other sciences. The third and fourth parts discussthe Libraries and scientific licenses that Al Ayyashi had obtained. The fifth part dealt with arts and poetry, where it became clear that the relationship between travel and literature is close since travel forms an important source of literary texts of poetry and Prose.

المقدمة:

تحظى المدينة المنورة بمكانة هامة ومرموقة عند المسلمين، فهي مدينة رسول الله ﷺ ودار هجرته وأصحابه الغر الميامين رضوان الله عليهم أجمعين، وطيبة الطيبة، مهبط الوحي، ومتنزل جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ. وفيها وضع الرسول ﷺ أسس الدولة الإسلامية، وعلى أرضها بنى المسجد النبوي الشريف الذي كرمه الله سبحانه وتعالى فجعله من المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال. وفيه قال الرسول

ﷺ "صلاة مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام"[1].

كما تضم المدينة المنورة الكثير من المعالم الدينية الإسلامية كمقبرة شهداء أحد ومقبرة البقيع، بالإضافة إلى عدد المساجد كمسجد قِباء الذي خطه الرسول ﷺ ومسجد القبلتين ومسجد الميقات ومسجد الراية ومسجد العنبرية وغيرها من المساجد الأخرى التي أنشأت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من الصحابة رضوان الله عليهم.

وبالرغم من أن المدينة المنورة ليست جزءاً من مناسك الحج، غير أنه ما من حاج يتخلّف عن زيارتها لما لها من مكانة دينية في نفوس المسلمين. ولا يخفى ما للحج من فوائد عظيمة فبالإضافة إلى أهميته الدينية باعتباره أحد أركان الإسلام الخمسة، غير أنه على الصعيد الثقافي والعلمي يشكل ملتقى الحجاج باختلاف مشاربهم وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم ومجال تبادل المعارف وامتزاج الثقافات المختلفة فيجمع بذلك بعض الحجاج سيما العلماء ومنهم والفقهاء بين أداء الفريضة والتحصيل العلمي، فقد أبدى هؤلاء اهتماماً بالغاً بالاستفادة من المكانة العلمية للحرمين الشريفين والعودة إلى بلادهم بحمولة من الزاد العلمي والمعرفي، لا سيما أن البعض منهم كان يطيل مقامه في الحرم النبوي الشريف والمواظبة على حضور حلقات العلم ومجالس العلماء والفقهاء والمقيمين أو المجاورين للإفادة من علمهم وتلقي العلم والرواية عنهم والحصول على الاجازات العلمية من هؤلاء العلماء، فاستفادوا وأفادوا، واستجازوا وأجازوا وتلقوا وأخذوا. ودونوا لقاءاتهم ومشاهداتهم ومشاعرهم طوال فترة وجودهم وإقامتهم مما جعل من التراث الذي تركوه أو ما يعرف بأدب الرحلات منبعاً غنياً ومصدراً علمياً قيّماً استقى ولا يزال يستقي منه الكُتّاب والأدباء والشعراء مادتهم العلمية.

وتُعد رحلة العياشي موضوع الدراسة من أكثر الرحلات شهرة وأكثرها فائدة لما اشتملت عليه من معلومات قيّمة تناولت أنواعاً مختلفة من العلوم والمعارف، فجاءت حافلة بمعطيات علمية وأدبية وجغرافية واجتماعية واقتصادية وعمرانية وغيرها من مختلف الجوانب التي استقى مادتها من منابعها ومصادرها الأصلية وبشكل خاص المشاهدة والمعاينة التي تُعد من أهم مصادر المعلومات التي اعتمد عليها وإن كان قد

اعتمد على عدد من المصادر المكتوبة تاريخية كانت أم دينية.

سيرة أبي سالم العياشي:

هو أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي، وينسب إلى قبيلة آيت عياش وهي قبيلة بربرية تقيم على حدود الصحراء في جنوبي شرق المغرب، غير أنه يقال بأن العياشي عربي الأصل ينتمي في نسبه إلى الأدارسة. ولد في شعبان عام ١٠٣٧هـ/ آب ١٦٢٨م في قرية تازروفت الواقعة شمال المغرب في الأطلس الكبير على ضفة أحد روافد نهر زيز في الأطلس الكبير[٢].

نشأ العياشي في حجر والده فقرأ عليه القرآن الكريم ولقنه الذكر، وقضى أكثر من عمره في الزاوية العياشية التي تُنسب لوالده والذي أسسها عام ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م بإذن من شيخه محمد أبي بكر الدلائي وتعرف بزاوية سيدي حمزة، ونتيجة لازدياد الواردون وإقبالهم على هذه الزاوية وضيق مسجده قام أبو سالم بتوسيعه وتجديد بناءه عام ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م، ثم أخذ يشتغل بتدريس العلم وتربية المريدين[٣].

ويبدو أن مكانته العلمية وكثرة أتباعه ومريديه سببت له المتاعب من السلطة الحاكمة التي أخذت تتوجس خيفة منه ومن أهل زاويته، فأجلي عن بلده مرتين، كانت المرة الأولى أيام الحكم السعدي عندما رفض توليه منصب القضاء في مراكش بعد أن عرضه عليه السلطان محمد الشيخ السعدي، فأجبر على الإقامة بفاس لمدة عام، وكان ذلك عام ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م[٤]، وقد سنحت له الفرصة خلال هذه الفترة بالقراءة على أشهر أساتذة عصره في المغرب في مختلف العلوم من حديث ومنطق وكلام وتفسير وفقه وغير ذلك من علوم اللسان واللغة[٥]. أما المرة الثانية فكانت خلال عهد الدولة العلوية حيث نفاه السلطان الرشيد العلوي مع أسرته إلى فاس عام ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م، واستمر هناك لمدة أربع سنوات حيث عاد إلى بلده بعد أن سمح له السلطان إسماعيل بالعودة عام ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م[٦].

واتصف العياشي بحب الحديث وسعيه لطلب علو الإسناد حتى قال عنه حفيده "كان كلفاً بالرواية مستريحاً إليها من أثقال الدراية علماً منه أن علو الإسناد مرغب فيه عند جميع النقاد[٧]. واشتهر بتعظيم الصوفية وكعادة بعض علماء عصره في المغرب أو في

غيرها آنذاك، فالتف حوله المريدون وطلاب العلم بأعداد كبيرة[٨].

وبالرغم من أنه مالكي المذهب، إلا أنه لم يكن متزمتاً لمذهبه، وكان يدعو إلى نبذ التعصب المذهبي، فيقول: "ما من علوم الشريعة إلا وقد ألف فيه أرباب المذاهب كلهم، والمشتغل بذلك الفن لا يقتصر على كتب أهل مذهبه فيه، فكم من مالكي انتفع بكتب الشافعية في التفسير والحديث والتصوف، وبالعكس فلو كان المشتغل بقراءة هذ الكتب لا يعتقد تعظيم أصحابها ولا هدايته لقل انتفاعه بها أو عدم رأساً"[٩].

اشتهر العياشي بكثرة رحلاته داخل المغرب وخارجه، وقد أكسبته هذه الرحلات فوائد وتجارب مكنته من ربط سلسلة الأسانيد بالمشرق فزادت في سعة مداركه وعرفته بطبائع المجتمعات ومستوياتها المادية والفكرية، ووقف بنفسه على جغرافية مختلف الأقاليم لبعض البلدان العربية واطلع على ما كان يعانيه الناس من ظلم الحكام والولاة ونهب الأعراب[١٠]. وقد أدى العياشي خلال رحلاته فريضة الحج ثلاث مرات كانت الأولى عام ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م، والثانية عام ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م، أما الحجة الثالثة فكانت عام ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م وعن هذه الحجة ألّف رحلته موضوع الدراسة وقصد أن تكون إلى جانبها الموضوعي ديوان علم وبذلك طالت حتى استوعبت مجلدين، وتُعرف هذه الرحلة بالرحلة الكبرى وحملت عنوان ماء الموائد[١١] وتُعد هذه الرحلة من أهم الرحلات المغربية وأكثرها انتشاراً نظراً لما فيها من مادة متنوعة ومعلومات قيّمة وغزيرة.

ترك العياشي كثير من المؤلفات التي لا تزال مخطوطة في مواضيع شتى من المعرفة في العقيدة والحديث والتراجم والتصوف والنحو وعلم الكلام والمدائح النبوية[١٢]. وفي ضحى يوم الجمعة ١٨ ذي القعدة ١٠٩٠هـ/ ٢٠ كانون أول ١٦٧٩م توفي العياشي متأثراً بمرض الطاعون عن عمر يناهز نحو ثلاثٍ وخمسين سنة[١٣].

خط سير الرحلة ذهاباً وإياباً:

يذكر العياشي أنه عزم عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م القيام برحلة ثالثة للحجاز لأداء فريضة الحج والمجاورة في الحرمين المكي والنبوي، إلا أنه لم يتمكن من ذلك لظروف سياسية مر بها المغرب، وذكر ذلك بقوله "دبت في مغربنا عقارب الفتن، وهاجت بين الخاصة والعامة مضمرات الإحن، فانقطعت السبل أو كادت، وهاجت الأرض بأهلها ومادت"[١٤]. وبعد أن

استقرت ظروف البلاد السياسية قرر في العام ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م التوجه للحج بعد أن "اشتد العزم مني كما كان قبل ذلك وأعظم، وخُيل لي أن أمر التوجه في سلك التوفيق قد انتظم"[١٥].

غادر العياشي بلدته صباح يوم الخميس الموافق ١ ربيع الأول ١٠٧٢هـ/ ٤ تشرين أول ١٦٦١م حيث لحق بالركب المغربي في ١١ ربيع الثاني ١٠٧٢هـ/ ٣ كانون أول ١٦٦١م الذي كان أميره آنذاك صديقاً للعياشي حيث كان بينهما من الألفة والمودة "في فترة سابقة خلال أدائهم الحج سابقاً"[١٦]. ووصف العياشي كافة المواقع والمشاهد التي مر عنها في طريقه عبر طرابلس فالأسكندرية ثم القاهرة حتى وصل الركب إلى مكة المكرمة عشية يوم السبت الخامس من ذي الحجة ١٠٧٢هـ/ ٢١ تموز ١٦٦٢م[١٧] وبذلك تكون مدة الرحلة قد استغرقت معه تسعة أشهر وخمسة أيام أو ٢٧٥ يوماً. ويذكر العياشي أن الركب المصري دخل قبلهم في اليوم الرابع بينما دخل بعض من الركب الشامي في اليوم السادس وبعضهم الآخر في اليوم السابع، أما ركب العراق فقد دخل في اليوم الثامن. وذكر أيضاً أن الركب الشامي كان قد تعرض في طريقه لأعمال سلب ونهب من قِبل القبائل البدوية التي كانت تقيم على الطريق فكانوا قد "لقوا من الحرامية شدة في الطريق حتى كادوا أن يتعوقوا، ودفعوا للأعراب مالاً كثيراً بعد ما انتهب من ركبهم كثير وقتل أناس"[١٨].

استمر العياشي والركب المغربي في مكة حتى يوم الأحد ٢٠ ذي الحجة ١٠٧٢هـ/ ٥ آب ١٦٦٢ حيث شدوا الرحال باتجاه المدينة المنورة، وكان الركب المغربي "أول الأركاب الواردة من الآفاق خروجاً من مكة، فلا يخرج قبلهم إلا بعض قفول أهل المدينة المشرفة"[١٩]، وفي ليلة الخميس الثاني من محرم ١٠٧٣هـ/ ١٦ آب ١٦٦٢م، دخلوا المدينة المنورة، وبذلك تكون الطريق من مكة إلى المدينة قد استغرقت معهم اثني عشر يوماً.

استمر الركب المغربي مقيماً في المدينة لمدة ثلاثة أيام وأربع ليالي، إذ غادرها صبيحة يوم الأحد، بينما بقي العياشي مقيماً في المدينة حتى ضحى ١٧ شعبان ١٠٧٣هـ/ ٢٦ آذار ١٦٦٣م حيث غادرها متجهاً إلى مكة المكرمة، وبذلك يكون قد أقام في المدينة سبعة أشهر ونصف. ويذكر بأنهم استأجروا جملين بمبلغ ١٣ قرشاً[٢٠]

كما منحهم الآغا[٢١] سليم شيخ الآغوات بالمدينة محملاً يعرف بالشقدف[٢٢]. وقد وصل العياشي ورفاقه إلى مكة المكرمة ليلة الأحد التاسع والعشرين من شعبان أي بعد اثني عشر يوماً من المسير[٢٣].

أقام العياشي في مكة حتى ليلة الثلاثاء الثامن عشر من ذي الحجة ١٠٧٣هـ/ ٢٣ تموز ١٦٦٣م أي مائة وتسع أيام، حيث غادرها عائداً إلى المدينة المنورة وكان برفقته ثلاثة من فقهاء الحنفية بالمدينة وشيخ الحرم النبوي[٢٤]. ويصف سوء معاملة المكارية معهم إذ كلما أبرموا معهم اتفاقاً نقضوه محاولين ابتزازهم بدفع المزيد من المال فقال: "وضاقت علينا الأرض بما رحبت، وأساء الأكريـاء معنـا في الركـوب والنـزول والحملات...واستطال علينا المكارون ...وقالوا إن أمتعتكم ثقيلة، فإما أن تزيدوا في الكراء، وإما أن نطرح لكم أمتعتكم هنا حتى يقدم عليكم الركب، وزدنا لهم في الكراء. والحاصل أن ما إكترينا به من مكة إلى المدينة أزيد مما إكترى الناس به من مكة إلى مصر، واغتفرنا ذلك كله رغبة في إقامة أيام بالمدينة قبل الركب، فكمل الله مرغوبنا"[٢٥].

العلماء والمجاورون الذين التقاهم العياشي في المدينة المنورة:

امتاز القرن الحادي عشر للهجرة بوجهه الثقافي والعلمي بظهور حركة فكرية وثقافية نشطة، وقد شكلت المجاورة بالحرم النبوي في المدينة المنورة من الفقهاء والعلماء والأدباء والمتصوفة ممن شدوا الرحال إلى البقاع المقدسة خلال القرن الحادي عشر للهجرة وما سبقه وتلاه من القرون أيضاً ظاهرة متميزة أغنت الحركة الفكرية والأدبية في المدينة، وأسهمت في اختلاط الأجناس البشرية وتمازج الثقافات والمذاهب وتبادل الرسائل والاجازات والكتب والمؤلفات، كما أسهمت أيضاً في عملية التأليف والتدوين لا سيما أنها كانت تأخذ في كثير من الأحيان طابع المساجلات والمطارحات والمناقضات والمعارضات والردود والتعقيبات والشروح والتوضيحات، مما أسهم في بعث الحياة الفكرية والثقافية في المدينة[٢٦].

وكانت المدينة المنورة مركزاً ثقافياً عالمياً يلتقي فيه العلماء من مذاهب واختصاصات مختلفة، فاشتملت خزائن الحرم النبوي على مختلف الكتب التي كانت تهدى أو تحبس على الحجرة النبوية، فما من عالم صنف كتاباً في المشرق أو في المغرب أو الهند أو السند أو غيرها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي إلا وكان

يصرف نسخة من كتابه إلى المدينة المنورة تبركاً ورجاء الإقبال على كتابه[٢٧].

وشكلت المدينة المنورة نقطة استقطاب والتقاء للعلماء المسلمين من كافة أرجاء العالم الإسلامي لا سيما أن الحرم النبوي كان يُعد من أبرز المراكز العلمية لنشر العلوم الإسلامية[٢٨] فكان في المدينة علماء من مختلف الجنسيات الإسلامية كالمصري والهندي والكردي والفارسي واليمني والجزائري والمغربي والتونسي. وتفيض كتب التراجم بأسماء العديد من هؤلاء العلماء والمجاورين ممن كانت لهم مشاركات علمية وأسهموا في نشر علومهم ومعارفهم وتركوا بصمات واضحة في التواصل العلمي والثقافي بين مختلف أقطار العالم الإسلامي.

لقد بين العياشي هدفه ومقصده من تأليف رحلته إذ ارتأى بأن تكون ديوان علم وأدب، فقال "وقصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم، لا كتاب سمر وفكاهة، وإن وجد الأمران فيها معاً فذلك أدعى لنشاط الناظر فيها، لا سيما وإن كان صاحب تلوين، وأما صاحب التكوين فلكل شيء عنده موقع ونفع لا يوجد في غيره، والله المسؤول أن يلهمنا رشدنا ويخلص لوجهه فيما نأتي ونذر قصدنا"[٢٩].

وخصص العياشي في رحلته فصلاً خاصاً في ذكر المشايخ الأعلام والأصحاب الكرام الذين التقاهم وأخذ عنهم ما تيسر من العلم وانتفع بفوائدهم أو أخذوا عنه أو صاحبهم في الله[٣٠]، وحرص على ترجمة العديد من هؤلاء العلماء. وبلغ عدد العلماء والمجاورين ممن التقاهم واجتمع بهم ستةً وخمسين ما بين عالم ومجاور. وقد أسهب في ترجمته لبعضهم بينما أشار إلى بعضهم الآخر بشكل موجز أو اقتصر على ذكر الاسم فقط. وتنوعت وظائف بعض هؤلاء العلماء فمنهم المؤقت بالحرم النبوي أو المدرس فيه للمذاهب الأربعة أو رئيس الخطباء أو الإمام أو القاضي.

كان الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالرحمن الديبع اليمني الزبيدي أول من إلتقاه العياشي بالمدينة وقرأ عليه وأخذ عنه[٣١]. ووصفه بأنه "بقية السلف الصالح وقدوة كل غادٍ في اكتساب الحمد ورائح، أستاذ المقرئين وإمام المحدثين"[٣٢].

ويذكر العياشي بأنه كان يمتاز بحسن تلاوته للقرآن وعذوبة صوته مما يجعل الناس ينهالون عليه لسماع تلاوته، فقال

عنه: "ما سمعت أذني في أقطار الأرض كلها، على كثرة ما سمعت، أحسن من تلاوتة للقرآن وأطيب منه نغمة به وأجود منه ترتيلاً له، يعطي الحروف حقها في مخارجها من غير إفراط ولا تفريط في تؤده وسكون ووقار بقراءة مسترسلة متناسبة لا يرجع فيها ترجيع أهل الألحان ولا يمد في غير محل المد ولا يتركه في محله، محافظاً على مراتبه من توسط وإشباع وقصر، مجيداً للنطق بالإعالة وتسهيل الهمز وتليينه، مراعياً لصفات الحروف من تفخيم وترقيق وتغليظ وتشديد، وغنّة وإظهار وإخفاء"[٣٣].

وذكر أيضاً أنه لم يختم عليه أحد القرآن ممن ابتدأوا عليه القراءة إلا هو، فقد استمر على ملازمته، كما أن أبا الحسن أبدى اهتماماً زائداً بالعياشي، فعندما بدأ القراءة عليه بداية كان يقرأ وقتاً واحداً بعد صلاة الفجر ثم زاده وقتاً إضافياً بين صلاة الظهرين[٣٤].

والتقى العياشي أيضاً مع الملا إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري[٣٥] وهو من أتباع الطريقة الخلوتية[٣٦] ووصفه بأنه "العلامة الدرّاك الفهامة محقق العلوم على اختلاف أنواعها، ومقيد شواردها في بطئها وإسراعها، ومداوي أدوار القلوب مع تباين طباعها، ومؤهل اضلال المعارف بعد إقواء رباعها، حامل لواء الشريعة والحقيقة، وغائص بحار الأنظار الدقيقة...فقيه الصوفية وصوفي الفقهاء وعالم الصلحاء وصالح العلماء وارث علوم الختم"[٣٧].

ويذكر العياشي بأن الكوراني لم يترك علماً من العلوم إلا وأخذ منه نصيباً في بلاده إلا علمي الحديث والتصوف، فأما علم الحديث فقال الكوراني "ما كنت أظن أنه بقي على وجه الأرض أحد يقول حدثنا وأخبرنا حتى وصلت إلى بلاد العرب بالشام ومصر والحجاز". أما التصوف فقال: "ما كنت أظهر أن ليس أحد يتداوله بالقراءة والتصنيف والمنازلة بالفصل إلا في بطون الدفاتر أو ما عند المنقطعين في رؤوس الجبال"[٣٨].

ومن شدة ذكائه قيل عنه: "بلغ من قوة حافظة الملا إبراهيم أنه لو لمح مسألة في أية كتاب وغاب عنه سبع سنين ثم سئل عنها لقال هي في كتاب كذا في صفحة كذا في سطر كذا"[٣٩]. ومدحه العياشي بقصيدة من خمس وعشرين بيتاً من البحر الطويل على قافية الهاء، جاء فيها:

أشافي قلبي بعدما كنت جارحه
يحبك مني كل عضو وجارحه
عليك ثنائي ما حييت فإنني

بسانحه من كل خير وسارحة
وبين يدي نجواي قدمت مدحتي
لتكرمني والمرء يكرم مادحه
أمولاي إبراهيم يا من بفضله
طيور العُلا في دوحة المجد صادحة
ببابك عبد طالب الزيارة
لكيما ينال دعوة منك ناجحة[٤٠]

ومن شيوخ التصوف الذين التقاهم العياشي الشيخ بدر الدين الهندي[٤١]. وكان قد قدم إلى المدينة المنورة عام ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م لنشر العلم وبثه، وامتاز بأنه كان آية في الذكاء والفهم ووعاء من أوعية العلم، له في كل الفنون تحقيق، وفي فهم المشكلات تمكين وتدقيق". ووصفه العياشي بأنه لم ير أكثر منه تأدباً في ترداده بالحرم النبوي، ووصل الأمر في تواضعه إلى حد قيامه بمساعدة الخدام في تكنيس المسجد النبوي بيده[٤٢].

كما أنه لم يكن يجلس في محل تدريسه بالحرم الشريف إلا ويستقبل الحجرة الشريفة بوجهه، وإن جلس أحد بينه وبينها بحيث يحول بينه وبين رؤيتها أقامه وحوله عن يمينه أو يساره فتكون حلقة تدريسه من ناحية الحجرة منفرجة، وفي ذلك دلالة على تأدب الجالسين لأنهم بذلك يستدبرون الحجرة الشريفة[٤٣].

وكان مما لاحظه عليه العياشي اهتمامه بالدراية أكثر من الرواية، غير أنه لم يكن ينكر فضل علم رواية الحديث وفائدته وإن قل اعتناء أهل العصر به كما هو الحال عند علماء العجم "فليس لهم به إلمام لا لهم عليه تعويل، متقدمهم ومتأخرهم، إلا القليل"[٤٤]. كما لاحظ عليه العياشي أيضاً ضعفه في اللغة العربية وبخاصة علم النحو[٤٥].

ومن العلماء الآخرين الذين التقاهم العياشي الشيخ شهاب الدين أحمد بن التاج رئيس المؤقتين بالحرم النبوي[٤٦] وذكر العياشي بأنه "تمهر في علم الحساب والتوقيت والتنجيم"[٤٧]. والتقى أيضاً مع الشيخ حسن البري من صعيد مصر[٤٨] وهو مدرس المالكية بالحرم النبوي وتنسّب إليه طائفة من طلبة العلم في الحجاز فيقال مثلاً فلان البري، وقد أسند إليه تدريس المالكية بالنظر لخلو المدينة ممن يفهم المذهب المالكي، فقدمه أتباع المذهب المالكي لتدريسهم ولم يكن في مدرسي المالكية هناك من ينافسه مع أنه كما ذكر العياشي ضعيف التحصيل في الفقه. ويروي العياشي بأن

البري أبدى قلقه من اتساع حلقة العياشي العلمية "فخشي أن أعتزله من منصبه أو أن أحول بينه وبين مطلبه فتحاشى الجلوس عندي والتردد إلي حتى استيقن الخبر من عند بعض أصحابنا أن ليس قصدنا دوام الاستيطان وإنما هي مجاورة عام حتى أمن مما كان يتوهمه من قِبلي"[٤٩].

وإلتقى أيضاً مع الشيخ إبراهيم خير الدين الرملي[٥٠] ووصفه بأنه: "فصيح اللسان والبنان...المحدود السنان في العلوم على حداثة السن، الراوية ذو الأسانيد العالية"[٥١] وتولى خلال وجوده في المدينة العديد من المناصب كالإمامة والخطابة والتدريس[٥٢].

وهناك الكثير من العلماء ممن التقاهم العياشي لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً، أفادوا واستفاد الكثير منهم، إلا أنه ذكر أيضاً أنه لم يستفد من بعض العلماء شيئاً كالملا نافع العجمي[٥٣] الذي نال شهرة واسعة عند علماء العجم وأرباب الدولة، وقد تولى الإقراء في الحرم النبوي باللغة التركية والفارسية، ولم يكن يحضر مجلسه سوى الأتراك أو ممن كان يعرف لغتهم ولذلك لم يحضر العياشي أي من مجالسه ولم يستفد منه شيئاً[٥٤].

لقد كان العلماء والفقهاء الحنفيون المحظوظون أكثر ليس في المدينة المنورة فقط بل وفي مختلف مناطق الدولة العثمانية بالنظر لأن المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة، وكثيراً ما تحول بعض الفقهاء الواردين إلى المذهب الحنفي متخلين عن مذهبهم الأصلي رغبة في الحصول على الجاه ورغد العيش وتولي بعض المناصب الدينية من قضاء وفتوى وخطابة وإمامة وغيرها[٥٥]. وقد أورد العياشي مثالاً على بعض الفقهاء ممن تحولوا عن مذاهبهم إلى المذهب الحنفي كالشيخ أحمد البري[٥٦]. الذي كان على المذهب المالكي وقد تولى بعد تحوله إلى الحنفي وظيفة رئيس الخطباء بالحرم النبوي وكان يتولى الخطبة في المحافل الكبيرة علاوة على قيامه بالتدريس في حلقات العلم ومجالس فقه الحنفية[٥٧].

أما أهم العلوم التي كانت تدرس في الحرم النبوي الشريف أو حظيت باهتمام كبير من علماء المدينة كما أوردها العياشي فكانت بالدرجة الرئيسة العلوم النقلية أو العلوم الشرعية كالفقه والحديث والتفسير والقراءات، وقد صنفها ابن جماعة على النحو الآتي: القرآن والقراءات فالحديث فالتفسير فأصول الدين فأصول اللغة فالفقه[٥٨]. وعن أهمية هذه العلوم يقول

الماوردي "إذا لم يكن إلى معرفة جميع العلوم سبيل وحب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمها والعناية بأولاها، وأفضلها علم الدين لأن الناس بمعرفته يرشدون وبجهله يضلون"(٥٩).

ويستدل من رحلة العياشي أن علم الحديث كان من أكثر العلوم الشرعية أهمية بدليل التقائه بكثير من علمائه ما يدل على علو شأن هذا العلم بين العلوم واحتلاله مركز الصدارة وكان من بين أمهات كتب الحديث التي أوردها العياشي واطلع عليها خلال فترة وجوده بالمدينة صحيح البخاري وصحيح مسلم وجامع الترمذي(٦٠) وسنن ابن ماجه(٦١) وسنن أبي داود(٦٢) بالإضافة إلى تلقين كتب المبتدأ، والتهجد، والأحكام الصغرى والأحكام الوسطى والأحكام الكبرى لمحمد عبد الحق بن عبدالرحمن الأزدي الإشبيلي(٦٣).

أما علم الفقه فقد استهوى أيضاً علماء ذلك العصر وحرصوا على اتقانه وإجادته لا سيما أن ذلك العصر حفل بالمستجدات التي لم يعرفها أهل القرون الأولى من الفترة الإسلامية كانتشار القهوة والدخان، وهذه أمور كان على العلماء أن يفتوا في أمرها، بالإضافة إلى مسائل فقهية أخرى وجب التصدر للرد عليها بالاستناد إلى القرآن والسنة(٦٤).

كما برز عدد من علماء المدينة في مجال علم التفسير والقراءات، وكان من بين الكتب التي سمعها العياشي على بعض العلماء كتاب التيسير في القراءات السبع، والتبصرة في مذاهب القراءات السبع لأبي عبدالله محمد طالب المقري(٦٥).

وبالإضافة إلى العلوم السابقة برز عدد من علماء المدينة في مجال العلوم العقلية كالحساب والهندسة والطب والتشريع والتنجيم والمنطق، وكان من أبرز العلماء الذين أبدعوا في بعض العلوم الشيخ محمد سليمان الروداني(٦٦) الذي حقق علم التنجيم بجميع أنواعه مع ما يتوقف عليه من علوم كالحساب وغيره(٦٧). كما أتقن العلوم الغربية كالرمل والأوفاق والحروف والسيمياء والكيمياء التي امتاز بحذاقته فيها(٦٨). ووصفه العياشي بقوله: "وبالجملة فهو أعجوبة الدهر في الذكاء وضعة اليد فلا يكاد يتعاصى عليه شيء من الصناعات المندرسة التي لم يبق إلا أخبارها فضلاً عن الموجودة"(٦٩) فكانت له "يد صناع يحسن غالب الحرف المهمة، لاسيما الدقيقة العمل الرائقة الصنع، كالطرز العجيب، والصياغة

المتقنة، وتسفير الكتب والخرازة[٧٠]، وكان من بين الصناعات التي احترفها صناعة الاسطرلابات وغيرها من الآلات التوقيتية كالأرباع والدوائر والأنصاف والماكنات (الساعة)، ويقول العياشي "ومن أعظم ما رأيته من صناعته أنه يجبر قوارير الزجاج المتصدعة إلى أن لا يكاد صدعها يبين". وكان من أهم ما اخترعه الآلة الجامعة النافعة في علمي التوقيت والهيئة [٧١]، واهتم الشيخ أحمد عبد القادر المالكي[٧٢] أحد الخطباء بالحرم النبوي بأعمال الفلاحة والزراعة وتثمير المكاسب بالقيام على ضياعه ورباعه حتى أنه كان يغيب عن المسجد أياماً عديد ويكاد لا يرى فيه إلا أيام الجمع[٧٣].

كما اشتهر الرودانى أيضاً بما عرف بأسرار الحروف وهو عبارة عن جداول وأوفاق وأسرار الأسماء والترقي[٧٤]. كما اشتهر به الشيخ أحمد بن التاج رئيس المؤقتين بالحرم وكان يمتلك كتاب الجفر الكبير[٧٥] الذي قلما كان يتوفر عند غيره، وقد اطلع عليه العياشي حيث وصفه بأنه عبارة عن سفر كبير يتكون من أربعين كراساً مرتب على حروف المعجم، ويتكون من حروف مقطعة في مربعات صغيرة يحتوي كل مربع على أربعة حروف، وفي كل حرف من حروف المعجم ثماني وعشرون صفحة، وفي كل صفحة جدول من ثماني وعشرين في مثلها فيصبح عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ثمانية وعشرين سطراً، وفي كل سطر ثمانية وعشرون مربعاً صغيراً وفي كل مربع أربعة أحرف من حروف المعجم، ولا يتكرر أي من الحروف في أي من المربعات[٧٦]. ويذكر العياشي بأن هذا العلم يعد من علوم الكشف التي يجب كتمانها، وقد استعصى على كثير من الناس ممن لهم "عقول ذكية وأفهام سنية"[٧٧].

المجالس العلمية:

نقل العياشي في رحلته أخبار ووصف الكثير من المجالس العلمية والمناظرات الفقهية التي كان يحضرها أو يشارك فيها، وذكر بعض ما كان يجري فيها من مناقشات ومحاورات مع بعض العلماء حول موضوعات ومسائل مختلفة لا سيما أن هؤلاء العلماء والطلبة كان ينتمون لمذاهب مختلفة. وغالباً ما كانت هذه المجالس تُعقد بالحرم النبوي وليس بالمدارس، إذ لم يورد العياشي ذكراً في رحلته لأي مدرسة في المدينة.

وينقل العياشي في رحلته الكثير من المناقشات التي كانت تجري بينه وبين المدرسين والطلبة في حلقات التدريس والمجالس العلمية، فقد حضر ذات مرة مجلساً للشيخ محمد بن رسول الشهرزوري[٧٨] بالمسجد النبوي وقد اطلع العياشي على رسالة كتبها في الانتصار للمذهب الشافعي في الجهر بالبسملة أول سورة الفاتحة واعتبرها آية منها، وذكر للعياشي بأن السبب في تأليف هذه الرسالة أن بعض الطلبة الحنفية قالوا له بأنه لا يوجد مستند للشافعي قطعي في ذلك، ويذكر العياشي بعد أن تأمل الرسالة أنه تصرف بذلك تصرفاً حسناً "وذكر الأدلة من السنة الواردة في ذلك وبنى القطع بها على ما اشتهر عند متأخري المحدثين أن ما اشتمل عليه الصحيحان للبخاري ومسلم من الحديث يلحق بالمتواتر لتلقي الأمة لهما بالقبول شرقاً وغرباً واشتهار أحاديثهما عند علماء النقل". غير أن العياشي انتقد الشيخ لأنه "تحامل على من نفى قراءتها ولم يثبتها ورد مذاهبهم بأشياء لا تقاوم أدلة مذاهبهم عن تحقيق النظر". ورد عليه العياشي بالقول "إن كان القصد بها إثبات مستند لمذهبكم رداً على من زعم نفيه، فهي وافية بذلك...وإن كان القصد ترجيح المذهب على غيره، وتوهين أدلة من سواه فلا تستقل بذلك، فقد ذكر علماء الحديث بعد ما حصلوا طرق الأحاديث الدالة على إثباتها والقراءة بها في الصلاة، وتعاضدها أنها بجملتها لا تقاوم رواية أنس الواردة في الصحيحين وغيرهما، الدالة على عدم قراءتها بصحتها وشهرة رواتها، بحيث لا مطعن فيها ولا مغمز فما ظنك بها إذا انضم إليها غير ذلك من الأدلة التي استدل بها المخالفون[٧٩].

كان العياشي مواظباً على حضور مجالس الشيخ بدر الدين الهندي ويصف كيف كان هذا الشيخ يبدي اهتمامه بالدارسين وحرصه على إيصال المعلومات لهم، فكان يطالب الحضور في أول الدرس إعادة الدرس السابق، وقد حضر لديه في إحدى الجلسات تدريس "مختصر السعد على تلخيص المفتاح"[٨٠]، ويذكر العياشي بأنه لم ير منه أي أمر يعيبه سوى الاقتصار في علم النحو على مقدمات صغيرة، وكان كثيراً ما يجري على لسانه فتح الهمزة أن بعد كلمة حيث، غير أن العياشي كان يخجل أن ينبهه على ذلك، إلا أنه في إحدى المرات قال له بأن أكثر النحاة، رجحوا فيها الكسر

وعدوها من المواضع التي تكسر فيها إن، إلّا أن الشيخ أنكر ذلك وأيده الحاضرون لقصورهم وجهلهم بذلك كما ذكر العياشي، وكانوا يقولون: "إن ابن مالك لم يعدها في المواضع التي تكسر فيها إن ولكن دلَّ على أنها مفتوحة"، الأمر الذي دفع العياشي بالرد عليهم قائلاً "أليس في كلامه ما يدل على حصره مواضع الكسر، مع ذلك فلم يتناولها ضابط الفتح لأن حيث لازمة الإضافة إلى الجمل، فإذا كانت في أول جملة لزم كسرها" ومع ذلك فلم يأبه به الحضور فأعرض عنهم[٨١].

وكثيراً ما كان العياشي يدخل في سجالات ونقاشات مع الطلبة الحنفية الذين كانوا يحضرون لهذا الشيخ، وكان الشيخ يقف إلى جانبهم في تلك المناقشات، ولم يكن يحضر من الطلبة المالكية أو الشافعية في هذه المجالس إلا القليل ممن "لا يعد في العير ولا في النفير فيكون عليَّ لا لي". ويذكر العياشي أنه أشير في إحدى الجلسات قضية التسمية في الوضوء، وذكر الشيخ بأن بعض الأئمة الحنفية أكدوا على وجوبها لمذهب مالك، غير أن العياشي أنكر ذلك، مما دفع الطلبة المالكية في المجلس للاحتجاج فذكروا بأنه "في المذهب المالكي قولاً بوجوبها" وعلق العياشي على الشيخ بأنه لا علم له ولا دراية بأصول المذهب بل أراد أن يظهر نفسه في المساجلات والمناقشات وكأنه من أهل العلم، وأضاف العياشي قائلاً "أنه لا يعلم في المذهب ما يقيم به فرضه من فروعه، فأعرضت عنه لذلك علماً بأنه لا يفيد مراجعته لعدم من ينصفني منه"[٨٢].

ومن المجالس العلمية التي كان يحضرها العياشي مجلس الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي[٨٣]. ويذكر أنه عندما كان هذا الشيخ يمر بحديث فيه حجة للمذهب المالكي كان يشير للعياشي ومن معه بالقول هذه حجة لكم، وإذا مر بما يخالف المذهب فيقول هذه حجة عليكم، وكان من بين القضايا التي أثارت الخلاف بينهم في أحد المجالس الحديث النبوي "إنّا معاشر الأنبياء أمرنا بثلاث: بتعجيل الفطور وتأخير السحور وبوضع اليمنى على اليسرى في الصلاة" فأشار إلى الشيخ على العياشي وصحبه قائلاً: هذه حجة عليكم، إلّا أن العياشي رد عليه بالقول: "لا حجة علينا في هذا، فإن ظاهر اللفظ الخصوص ولا عموم فيه"، وإن "هذا الحديث بخصوصه لا يكون حجة على مالك في كراهية القبض فلو لم يرد في القبض إلا هذا الحديث وحده لم يكن فيه حجة على منكر القبض بل لساغ

لقائل أن يقول بعدم جوازه لغير الأنبياء وأنه من الخصائص لظهور اللفظ في ذلك كقوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث". ويضيف العياشي أنه كره مراجعة الشيخ في مثل هذه المجالس الحافلة الغاصة بأهلها[٨٤].

ومن المناقشات التي دارت بين العياشي وشيخه محمد بن سليمان الروداني في بعض مجالس الشيخ مسألة نهي الشيخ عن لباس الصوف الذي يأتي من بلاد الروم منسوجاً وتتخذ منه الجوخات التي كان يلبسها غالب علماء مصر والشام والحجاز وغيرها، ويرى الشيخ بطلان الصلاة في هذا اللباس بحجة أنه علم من أهل تلك البلاد بأنهم كانوا ينتفونه عن الأغنام وهي حيّة، وبالتالي يكون في هذه الحالة نجساً لما فيه من رطوبة ورقة[٨٥].

غير أن العياشي رد عليه بالقول أنه إذا كان منتوفاً فالمتنجس منه جزء قليل من أصله وهو أضعف ما فيه، وما سواه يطهر بالغسل فالصوف لا يصل إلى حالته التي هو عليها في اللباس إلا بعد القيام بالكثير من الأعمال من غسل ودق ونفش وغزل ونسيج، والجزء الضعيف لا يصبر على ملاقاة هذه الأعمال ولا يبقى معها بل يضمحل بالكلية[٨٦]. وأضاف أيضاً أنه في حال التسليم بأن الصوف منتوف فالغالب "بأنهم يجزّونه بعد النتف، إذ لا غرض لهم في بقائها ويتعين لهم العرض في إزالتها بتجويد الصنعة وإتقانها...وإذا كان المباشرون لذلك مسلمين فالأصل فيها توخي النجاسات وإزالتها عن ملابسهم، لاسيما أنه لا غرض لهم فيها فيكون الأصل فيها الطهارة حيث يثبت عدم الجز أو يقوم مقامه وما أبعد إثباته"[٨٧].

وينقل العياشي في رحلته صورة لبعض المجالس العلمية التي تعكس مدى الضعف العلمي لبعض المدرسين وقلة كفاءتهم وخبرتهم ومعرفتهم العلمية، وكان من بين هؤلاء المدرسين الشيخ حسن البري الذي كان يجتمع لسماعه جماعة من العوام والطلبة، فقرأ في إحدى مجالسه حديثاً نبوياً قال فيه ﷺ: بأن الله يضحك إلى رجلين قتل أحدهما الآخر، قالوا: كيف ذاك يا رسول الله؟ قال: يُقتل أحدهما في سبيل الله ثم يتوب الله على القاتل. واستشهد هذا الشيخ بذلك الحديث على وحشي الحبشي قاتل عم الرسول حمزة بن عبدالمطلب، وقد أسلم وحشي فيما بعد فيكونان ممن يضحك الله إليهما. وقد سمع العياشي هذا

النقاش رغم أنه لم يكن من بين الحضور، وإنما كان قريباً من المجلس فاقشعر جلده وانكره قلبه لاسيما في هذا المسجد النبوي، فالرسول ﷺ ما كان ليرضى المساواة بين عمه وقاتله الذي أعرض عنه بوجهه يوم جاءه معلناً إسلامه، ولم تعرض له صحبة للنبي بعد ذلك ولا لقاء آخر يرضى فيه عنه بل لم يقترب منه عليه السلام إلى أن مات، ويعلق العياشي قائلاً: "والعجب كل العجب من هذا المدرس كيف سوّلت له نفسه هذه التسوية، كيف قدر لسانه على النطق بذلك في مثل هذه الحضرة تأدباً معه ﷺ. ويفصّل العياشي أن هذا الحديث ينطبق على رجلين استشهدا معاً، واختتم رأيه بحسن البري قائلاً "والحاصل له على ذلك والله أعلم قلة مبالاته في علم الحديث والسير، ولم يجد ما يمثل به لذلك لعدم معرفته بأخبار أصحابة وأحوال من استشهد منهم وتسمية قاتليهم، ومن أسلم منهم بعد ذلك واستشهد. وليته ترك التمثيل وسلم من هذه الورطة التي لا تطابق الممثل، ولا تليق بالمقام ولو طابقت"[٨٨].

لقد حقق العياشي الكثير من الفوائد العلمية من مختلف المجالس العلمية التي كان يحضرها ويستمع لشيوخها، بل أقر بأن بعضهم نبّهه على أمور لم يكن يعلم بها من قبل لا سيما شيخه أبو الحسن الديبع اليمني الزبيدي بل لم يتردد هذا الشيخ في الاقتناع ببعض ما كان ينبّهه عليه العياشي، من ذلك عندما قرأه الشيخ في اللقاء الأول الذي جمعه في مجلسه مع العياشي الآية القرآنية "وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"[٨٩] وكان الشيخ قد قرأها بالتسهيل بين قائلاً لا نعرف فيه محض الهاء[٩٠] غير أن العياشي ذكر له بأن بعض شيوخه بفاس بالمغرب قد نقل عن بعض الأئمة المقرئين جواز إبدالهما هاء محضة، وبعد أن أطلعه العياشي على ذلك سُر بذلك على هذا النص، كما سُر أيضاً بذلك شيخه إبراهيم الكوراني الذي كان كما يذكر العياشي "غلبت العجمة على لسانه فيعسر عليه النطق بالهمز المسهل بل كان لا يطيقه، مما جعل الشيخ إبراهيم بقول "الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة ولم يكلفنا فوق طاقتنا، فنحن نقنع بموافقة قول إمام من الأئمة"[٩١].

وكان مما نبهه الشيخ أبو الحسن على العياشي خلال القراءة وكان العياشي يغفل عن ذلك كثيراً تحذير القارئ من قراءة كلمة "غشاوة" في الآية القرآنية "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم"[٩٢] وذلك بالهاء

على نية الوقف، ثم يصل، ولا بد من وقف بين، يعلم به القارئ فصل بين ما وقف عليه وما ابتدأ به، وإلا صار كمن قرأ بالهاء في الوصل، وهو لحن. كما نبهه أيضاً تفخيم الخاء في كلمة "يخادعون" وما أشبهه الواردة في الآية القرآنية "يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون"[٩٣]. فكان مما قاله الشيخ: وتتبعها الألف في التفخيم لأن الخاء حرف استعلاء، وكذلك أيضاً تفخيم القاف في نحو قال وقام، وكذلك المحافظة على إظهار اللام في نحو: قلنا وجعلنا[٩٤]. واستشهد برأيه على ما أورده ابن الجزري في مقدمته "الجزرية" والذي أكد فيها على ضرورة الحرص على الإظهار في كلمة "جعلنا" لأن اللام إن لم تظهر أسرع لها الفتح، وكان لا يسامح القارئ عليه في ترك الغنّة في محلها من نون وميم، وقد أنشد ابن الجزري في حروف الإخفاء بقوله: يجمعها أوائل هذا البيت.

صف ذا ثنا جودُ شخصٍ قد سَما كرما
ضع ظالما زدْ تُقى دُم طالبا فترى[٩٥]

الإجازات العلمية:

الإجازة لغة: مصدر فعل أجاز، وتتضمن عدة معان لغوية، فيقال أجاز له أي سوّغ له ذلك، وأجاز رأيه وجوّزه أي أنفذه[٩٦]. وقيل بأن الإجازة بمعنى الجوز وهو وسط الشيء، والجوزاء الشاة يبيضّ وسطها، وقيل الجوزاء نجم يقال إنه يعترض في جوز السماء أي في وسطها[٩٧]. وقيل أيضاً أن فعل أجاز مشتق من الجواز وهو الماء الذي يسقاه المالك من الماشية والحرث ونحوه، وقد استجزت فلاناً فأجازني إذ سقاك ماء لأرضك أو لماشيتك[٩٨].

أما اصطلاحاً فهي إذن وتسويغ يترتب عليه أن الشيخ يأذن لطالب الإجازة أن يروي عنه ما حدده له بالإجازة سواء كان ذلك من مؤلفاته أو من مروياته[٩٩].

لقد بدأ هذا المصطلح يعرف طريقه إلى الظهور عند علماء الحديث عندما يجيز أحد الرواة لآخر أن يروي الحديث، ثم انتقل هذا المصطلح فيما بعد إلى مختلف فروع العلوم، وغدت الإجازة بالنسبة للمعلمين أحد الشروط الواجب توفرها فيمن يرغب بالتدريس في الحلقات والمجالس العلمية التي كانت تعقد بالمساجد[١٠٠].

وتتميز الإجازات بأسلوبها البديع المبني على العبارات المختارة مع تواضع

الشيخ المجيز والثناء على المجاز، فهي وثيقة تعترف بكفاية المجاز وتمنحه الثقة بالنفس للوصول إلى مرحلة التحصيل والإقرار[١٠١].

وتحقق الإجازة العديد من الفوائد العلمية منها بث العلم ونشر المعرفة والمحافظة على الإسناد وخاصة إذا تعلق بالحديث الشريف إذ هو الوسيلة للوصول إلى المتن، كما تسهم في تبادل الروايات بين علماء المسلمين[١٠٢]. ويمنح الشيخ الإجازة لطالبها بطريقتين الإجازة بالمشافهة والإجازة التحريرية، والطريقة الأولى أقدم عهداً من الثانية. وتتمثل الإجازة التحريرية من خلال كتابة الشيخ إجازته على الكتاب الذي درسه على أحد التلاميذ أو أباح له روايته دون أن يدرسه عليه، وعادة ما تكون الإجازة التي تكتب على ظهور الكتب مقتضبة إذ لا تحتوي أحياناً طرق الرواية ولا أسماء الشيوخ الذين تلقى الشيخ المجيز معلوماته عنهم. وقد تكون أيضاً مستقلة عن الكتاب أو الكتب التي درسها الشيخ أو أباح روايتها، فتكون في هذه الحالة مفصلة فضلاً عن كونها مشتملة على طرق الرواية التي تلقى عنها الشيخ المجيز معلوماته التي أجاز روايتها لتلميذه[١٠٣].

حرص العياشي خلال لقاءاته مع مختلف العلماء والفقهاء والقضاة الذين التقاهم في مختلف المجالس العلمية وقرأ عليهم مؤلفاتهم أو مؤلفات غيرهم أن يحصل منهم على اجازات، وكانت معظم تلك الإجازات إجازات عامة، وبلغت الاجازات التي حصل عليها تسع عشرة إجازة، وكان من بين هذه الإجازات إجازة كتب له صاحبها أن يروي عنه[١٠٤] وإجازة ثانية كتب له أن يروي عنه جميع مؤلفاته[١٠٥] بينما كان هناك إجازة ثالثة بالمناولة وقد منحه إياها الشيخ محمد أبي الوليد بن أحمد بن محمد شبل بعد أن قرأ عليه العياشي الكثير من مؤلفاته فأجازه مناولة من مؤلفاته كتاب "نائب المجتهد" وكتاب "المقصد والأحكام الشرعية"[١٠٦].

ويُعد الشيخ أبو الحسن الزبيدي أول من قرأ عليه العياشي وأخذ عنه[١٠٧] وكان مما قرأه عليه العياشي المقدمة الجزرية في تجويد القرآن لمدة سبعة عشر يوماً، وكان يقرأ ذلك في مجلسين الأول برباط السلطان والثاني عند المحراب النبوي[١٠٨].

وقد أجاز للعياشي قراءة المقدمة الجزرية وسائر مروياته إضافة إلى أسانيد ابن كثير[١٠٩]. وكان مما كتبه في هذه الإجازة: "وقد استخرت الله تعالى وأجزت

له ذلك وجميع مروياتي في علم القراءات بمضمون الشاطبية[١١٠] والتيسير[١١١] وجميع ما يجوز روايته من كتب الحديث وغيرها لعلمي بأهليته..."[١١٢].

ومن جهة ثانية فقد أجاز العياشي بعض من اجتمع به من العلماء، وجاءت إجازته لهم بناءً على طلبهم وضلوع العياشي في بعض الأمور العلمية. ففي اللقاء الأول للعياشي مع الشيخ إبراهيم الكوراني الذي كانت له رغبة بالحديث "من أعظم الرغبات بعدما كان فيه أولاً من الزاهدين"، فلما علم بأن لدى العياشي معرفة برواية الحديث المسلسل بالأولية بشرطه، طلب من العياشي سماعه قبل أن يستمع شيئاً من الحديث، والحديث المسلسل بالأولية هو ما أخرجه البخاري في الكنى والأدب المفرد وأخرجه غيره أيضاً، فعن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمر بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك تعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. وقد روى هذا الحديث سفيان بن عيينه ﷺ عن عمر بن دينار قال سفيان: وهو أول حديث سمعته من عمرو، ثم لم يزل الأئمة من لدن سفيان يرويه بعضهم عن بعض بصفة الأولية إلى أن وصل إلى العياشي بصفته، وقد رواه العياشي عن عدد من مشايخه بشرطه، كما أن أسانيده مذكورة في إجازات هؤلاء الشيوخ، وبعد سماع الشيخ إبراهيم الحديث من العياشي واتصلت روايته له بشرطه طلب منه أن يجيزه به وبجميع مروياته، وبعد أن أعطاه العياشي برنامج رواياته طلب منه أن يقتطف "منه ما أراد من الأسانيد وأسماء المشايخ والمسموعات في أي فن لأن استيفاء جميعها يطول علي وأنت في غنى عن بعضها لوجوده عندك". وعليه فقد اختار الكوراني ما احتاج إليه فكتب له العياشي إجازة نثراً وشعراً، فمما قاله شعراً:

أجزتك لكن مثلكم من يجيزني
ولم يستفد مني ولكن يفيدني
بما قد سمعت من شيوخي قراءة
من الشيخ أو مني وهم يسمعونني
وكل الذي أروي مما أجازني
وناولني من بالرواية يعتني
وكل الذي في جميعنا من مؤلف
بأي فنون العلم أو من مدون
بإسناده إن شئت فاكتب جميعها
وإن شئت بعضاً فاقتطف منه واجتن[١١٣]

وكان من بين الشيوخ الذين أجازهم العياشي الشيخ حسن البري مدرس المالكية بالحرم النبوي[١١٤]، وقد أسندت إليه هذه الوظيفة لخلو المدينة ممن يحسن المذهب المالكي فقدمه من كان بها من المالكية للتدريس لهم، ووصفه العياشي بأنه "ضعيف التحصيل في الفقه الذي هو أشهر علومه التي ينتحلها"، وذكر العياشي أن هذا الشيخ عندما رأى إقبال الطلبة على الحلقات العلمية له واتساعها، أبدى غيرته اتجاه ذلك "فخشي أن أعتزله من منصبه، أو أحول بينه وبين مطلبه فتحامى الجلوس عندي والتردد إلي حتى استيقن الخبر من عند بعض أصحابنا أن ليس قصدنا دوام الاستيطان وإنما مجاورة عام ثم الرجوع إلى الوطن حتى آمن مما كان يتوهمه من قبلي"[١١٥].

المكتبات وإعارة الكتب:

لعبت المدينة المنورة من خلال المسجد النبوي دوراً هاماً ومميزاً في مجال الحركة العلمية والثقافية بما احتوته مكتباتها من كنوز المخطوطات ونفائسها والتي توسعت وتطورت من خلال الإيقاف وتبرعات السلاطين والملوك والعلماء والأثرياء في شتى بقاع العالم الإسلامي[١١٦]. فقد أبدى الكثير من هؤلاء على وقف كتبه بعد وفاته على أهل العلم أو على ورثته أو على طلاب العلم الذين يدرسون في المسجد النبوي أو الحرم المكي حيث وجدوا في ذلك وسيلة من وسائل الخير والتقرب إلى الله من منطلق الرغبة في اتساع العلم والتغلب على مصاعب الحصول على الكتب من أنحاء العالم الإسلامي[١١٧].

ويُعد وقف دور الكتب أو خزائن الكتب المستقلة أقدم أنواع وقف الكتب والمكتبات عند المسلمين، ومن الطبيعي أن يكون أوائل المساهمين في هذا النوع من الوقف هم الخلفاء والسلاطين والحكام والوزراء والأثرياء نظراً لتوفر الإمكانيات المادية لديهم، ووجود الحافز نحو المشاركة في عمل الخير عن طريق استغلال جزء من ثرواتهم للصالح العام رغبة في الحصول على الأجر والثواب[١١٨].

كان المسجد النبوي من أعظم المراكز العلمية والثقافية في المدينة، حافلاً بالنشاط العلمي، وتُعد مكتبته مركزاً من مراكز العلم في المدينة ومن أقدم المكتبات فيها. وكانت حصيلة ما وقفه الحكام والعلماء عبر مراحل تاريخية مختلفة. فكان فيه خزائن كبيرة اشتملت على العديد من الكتب العلمية والمصاحف القديمة، فقد ذكر أنه كان فيه عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م خزانتان كبيرتان احتوتا على كتب ومصاحف

موقوفة، ثم أخذ عدد هذه الخزائن بالازدياد حسب الواقفين، واشتهر منها الخزانة الشريفة التي اشتلمت على أفضل الكتب ومفاخرها، فما من طالب مقتبس إلا وهو يستفيد من جواهر زواخرها[١١٩]. وذكر العياشي بعض هذه الخزائن، منها خزانة صبغة الله الحسيني الواقعة في الجهة الشمالية من المسجد[١٢٠]، والخزانة التي أوقفها محمد إسماعيل المناوي من المغرب حيث بعث بكتبه إليها، وقد تولى الإشراف عليها الشيخ محمد الفزاري[١٢١] الذي وصفه أنه "كان أوحد زمانه نسكاً وعبادة وملازمة للحرم الشريف"[١٢٢].

ومن خزائن الكتب الموقوفة أيضاً كانت خزانة كتب وقف السلطان المملوكي قايتباي[١٢٣] الواقعة بجوار الحرم، وكان يتولى الإشراف على تنظيف هذا المكان الشيخ شهاب الدين أحمد بن التاج الذي كان يباشر الخدمة بنفسه من كنس وفرش وتنظيف وتهيئة مرافقه، وعندما حاول العياشي مساعدته في ذلك رفض ذلك مما جعل العياشي يقول فيه عدد من الأبيات الشعرية، فقال:

بطيبة قد خيمت بعد تشعق
وزرت شفيع الخلق في كل وقف
وصححت عزمي في الجوار بأرضه
وكان نزولي عند أفضل منصف
أخي وخليلي بل إمامي وسيدي
وجامع كل الفضل دون تخلف
فلما نزلنا أحسن النزل واللقاء
وقام مقام الخادم المتلطف
وليس بعيب خدمة المرء ضيفه
ولكنها زيادة في التشرف[١٢٤]

وبالإضافة إلى خزائن الكتب في المسجد النبوي وجواره، كان هناك أيضاً مكتبات خاصة لبعض العلماء والفقهاء، من ذلك أن الشيخ إبراهيم الكوراني الذي كان يسكن خارج المدينة وفي منزله عليّة له فيها كتبه التي يطالع فيها[١٢٥].

ويرتبط بالمكتبات في المسجد النبوي إعارة الكتب الموقوفة على شروط الواقف، وكان متفاوتاً بين واقف وآخر، فبعضهم منع الإعارة الخارجية أو إخراج الكتاب من المكتبة أو الخزانة لا عن طريق الاستنساخ ولا عن طريق الإعارة، بينما أجاز بعضهم إعارة كتبه تعميماً للفائدة العلمية دون قيد أو شرط أو بشروط محددة. أما فيما يتعلق بالقراءة فقد أجازت أغلب النصوص الوقفية ذلك دون شروط، ونصت على

حق الطلبة أو الدارسين القراءة والمطالعة والمراجعة والمقابلة[١٢٦].

وكان أصحاب الكتب ونظار الخزانات الوقفية بالمسجد النبوي يحددون فترة زمنية لاسترجاع الكتب المعارة، فيذكر العياشي بأنه كان "حق عادتهم إذا كان اليوم السابع عشر من ذي القعدة ويسمونه الكنيس...ادخلت المصاحف التي في المسجد والسبحات إلى الروضة ورد كل من استعار كتاباً إلى صاحبه أو إلى ناظر الخزانة التي أخذه منها"[١٢٧].

وحرص العياشي طوال فترة وجوده في الحرم النبوي والمجالس العلمية والتقائه مع العلماء والفقهاء الاطلاع على الكتب النفيسة التي لم يسبق له وأن اطلع عليها في بلاده، واستعارة بعضها، فعندما التقى بالشيخ فواز الشامي الدمشقي الذي وصفه أنه جمع "من كتب الفن كثيراً لا سيما مؤلفات الشيخ محيي الدين ابن عربي"، استعار منه كتاب عنقاء مغرب ومعرفة ختم الأولياء وشمس المغرب لابن عربي، وذكر بشأن هذا الكتاب قائلاً "ما رأيته قبل ولا بعد إلا عنده"[١٢٨].

وكان في بعض الأحيان يلجأ إلى طلب استعارة الكتب من العلماء معبراً عن ذلك بعدد من الأبيات الشعرية، فعندما التقى الشيخ شهاب الدين أحمد بن التاج رئيس المؤقتين بالحرم النبوي طلب منه أن يعيره بعضاً من الكتب الموجودة في خزانته، فمما قاله:

شهاب الدين مولانا ابن تاجه
فنعم التاج أنجب في نتاجه
فكم من معضل قد حار فيه
أساة الكلم زال لدى علاجه
وكم من فهمه هابت سلوكاً
به العلماء خيم في بجاجه
له ذهن توقد من ذكاء
فكل العلم يقبس من سراجه
غدا فرداً فسد مسد جمع
لمن قد أمه في نيل حاجة
عليك به إذا رُمت علماً
ودع عنك المعاند في لجاجه
فنور علومه في ليل جهل
يضيئ لمن توغل في دلاجه
قد احتجنا لكتب منك تأتي
ومثلك أنت يؤثر في احتياجه[١٢٩]

وقبل لقائه بالشيخ أحمد البري رئيس الخطباء بالمسجد النبوي طلب منه أن يستعير طبقات السبكي الكبرى، معبراً عن ذلك بثمانية أبيات من الشعر أرسلها له،

فقد كان العياشي "متلبساً ببقية مرض" لا يمكنه من الخروج، فقال:

أسيدنا البري أحمد خير من
له المجدُ والبر العميمُ بلا شكِ
أومل منكم أن تعيروا بفضلكم
لنا طبقات العالمِ الماهر السبكي
ولولا الذي عاق من مرض لما
تأخر عن تقبيل كفكم فك
فعجلْ بما أملته منك سيدي
فذلك للمعروف كالعرف للمسك
وأزكى صلاة الله ثم سلامه
على أحمد الهادي المتره عن إفك[١٣٠]

وعند تسلم البري هذه القصيدة- أرسل له السفر الثالث من الكتاب وذكر له بأنه لا يوجد لديه سواه من الأسفار الأخرى، وكتب معه ثمانية أبيات من الشعر بعدد الأبيات التي كتبها العياشي معتذراً له لأنه لا يمتلك من ذلك سوى سفر واحد كما عبر فيها عن شديد اعتذاره وتقصيره في عدم زيارته ودعا له بالشفاء والمعافاة من مرضه، وقد أرسل له مجلداً واحداً من الطبقات ولم يكن بحوزته غيره، إذ لم يستطع رد طلب العياشي في ذلك رغم حاجته الماسة لذلك المجلد، قال:

أبا سالم سلمتَ من عارضِ الضنكِ
وعشتَ تُعافى سالم الجسم والمسك
لقد جاءني نظمٌ توهمت أنه
هو الدر إلا أنه الفائق السلك
تروم به ما ألفَ السيد الذي
تآليفه شاعت لدى العرب والتركِ
فها نبذة منها على حاجتي لها
وما غيرها عندي ولا دخلت ملكي
فعذراً وعذراً حيث قصرت حين لم
أزرك وكان اللوم مستلزم التركِ
ودم سالماً من كل سوء ممتعاً
بقرب مقام دونه شامخ الملك[١٣١]

ويذكر العياشي بعد إطلاعه على هذا السفر وقراءته، حقق من ذلك الكثير من الفوائد والمعلومات التي كان يجهلها لا سيما المتعلقة بتراجم عدد من الأشخاص "فلنذكر ما انتقيته من الفوائد من السفر الثالث المستعار من طبقات السبكي، تكثيراً للفائدة، وهي مع طولها مستحسنة، قلَّ أن توجد في غيره لغرابة هذا الكتاب بمغربنا، فلم تقع عيني عليه، ولا سمعت أذني به عند أحد في قطرنا"[١٣٢]. وقد أورد العياشي قائمة طويلة ممن ترجم لهم السبكي في هذا السفر، وبلغ عددهم خمسة وخمسين شخصاً

ما بين إمام وفقيه وخطيب وقاضٍ وقاضي قضاة وراوي حديث ومتصوف وأديب ووزير ومدرس ومؤرخ وحافظ وزاهد من مختلف بقاع العالم الإسلامي(١٣٣).

الفنون الشعرية والمديح النبوي:

ترتبط الرحلة بعلاقة وثيقة بالأدب، إذ تُشكل مصدراً هاماً من النصوص الأدبية شعراً كانت أم نثراً بالنظر لانفرادها برواية الكثير من النصوص، قد جاءت الكثير من الرحلات تطفح بالعديد من القصائد الشعرية والرسائل النثرية مما لها ارتباط بظروف الرحلة، الأمر الذي جعل الرحلات ذات أهمية أدبية خاصة، فأكثر الرحالة لم تعرف لهم أشعار وقصائد إلا من خلال ما دونوه في رحلاتهم، ما يجعل منها بمثابة دواوين لأصحابها(١٣٤).

وقد اشتملت معظم الرحلات على قصائد شعرية مختلفة المضامين والموضوعات المتنوعة والمتفاوتة في القيمة الفنية، وقد تكون هذه القصائد إما من إبداع الرحالة نفسه أو من إبداع غيره. وللعياشي بدوره كثير من القصائد في رحلته تناول فيها موضوعات شتى من وصف لبعض الأماكن التي زارها أو مدح ومديح نبوي وتوسل وثناء وشوق وغير ذلك من مختلف فنون الشعر فامتاز بطريقة شعرية فريدة في كثير من الموضوعات التي نظم فيها قصائد، ومن هذه الفنون:

الوصف: يُعد شعر الوصف من أشمل الأغراض الشعرية التي عرفت في الأدب العربي بل عماد الألوان والفنون الشعرية. كما أنه من أهم الموضوعات الشعرية التقليدية التي تناولها الشعراء منذ العصر الجاهلي.

وعرّف بعضهم شعر الوصف عند الأدباء أنه "تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الأثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلاً يصل بك إلى الأعماق، إلى غير هاتيك العناصر التي قد يحتاج وصفها إلى ذوق فني، وتتطلب الإحاطة بنواحيها والسمو إلى آفاقها وجداناً شاعراً، وإحساساً مرهفاً، وذوقاً سليماً"(١٣٥).

فعندما وصل العياشي إلى مشارف المدينة المنورة وبدأت معالم المدينة بالظهور أنشد قصيدة رائية من سبعة وعشرين بيتاً من البحر الكامل وصف فيها القباب التي شاهدها والجبل المعروف بجبل مفرح الذي وصفه بالياقوتة حيث أخذ الناس يتسارعون للصعود عليه ولم يتخلف عن

الصعود سوى من ليس له قدرة على ذلك فقال:

وبدت معالم طيبة لك فاستمع
أوصافها من صادق لك مخبر
هذا مفرح كاسمه وكأنه
ياقوتة رشت بذائب عنبر
وإمامه البيداء يسطع نورها
لبصائر الزوار هل من مبصر
وعلى يمينك قد بدا عير يرى
بالقرب كالثور العقير الأعفر
يا حبذا أحد نراه يحبنا
ونحبه جبل جميل المنظر
فكأني هو حلة من عسجد
صبغت جوانبها بمسك أذفر[١٣٦]

وبعد أن استقر العياشي في المدينة أخذ بزيارة مختلف الأماكن بالمدينة من مشاهد ومساجد وآبار وعيون وأودية، وكان من بين الأودية التي زارها وأنشد شعراً في وصفها وادي أو سيل العقيق غربي المدينة[١٣٧]، ويُعد هذا السيل عند أهل المدينة من أجمل المتنزهات، وقد أنشد في وصفه الشعراء القدامى أشعاراً كثيرة واعتاد أهل المدينة نصب خيامهم على حافتيه والإقامة فيه يوماً أو يومين، ومما قاله العياشي في وصفه:

جرى العقيق ودمعي كالعقيق جرى
فلا تسل سائلي عما هناك جرى
الوجد أورى زناداً في الحشا فصلى
به الفؤاد فسال الدمع مبتدراً
اذكريني جريه جري السوابق في
بين الكثائب في الميدان معتجراً
وظله والنسيم في جوانبه
أكربني فسرى الأحزان حين سرى
أذكرني زمناً عند الذين بهم
أفاخر الشهب في وسط الدجا سحرا
قومي وأهلي ومن ألبست بينهم
شرخ الشباب نظيفاً طيباً عطرا[١٣٨]

ويصف العياشي شعوره لدى اقتراب القافلة من المدينة المنورة والوصول إلى مشارفها بعد رحلة شاقة وعسيرة في قصيدة من خمسة عشر بيتاً ومن البحر الطويل:

خليلي ما للعيس في سيرها تعدو
ومن قبل أعيت من يسوق ومن يحدو
أظن لها علماً يقيناً بأنها
لقبر رسول الله قد أصبحت تغدو

لـــذلك لم تجـــزع لحـــر أصـــابها
كما جزعت بالأمس إذ مسها الجهد
فلا تعجبوا مـن علمهـا باقترابهـا
وليس لها بالدار من قبـل ذا عهـد
ففضل رسول الله في الكون ظـاهر
أقرت به العجمـاء والججـر الصـدد
وأنـوار أرض حلـها قـد تـلألأت
أحست بها الأبصار والعظم والجلـد
دنـت فـدنت أعلامهـا فبـدا لنـا
من الشوق في الأحشاء ما لم يكن يبدو
عليهـا مـن الـرحمن أزكـى تحيـة
تـــدوم دوامـــاً مـــا لآخـــره حـــد
تكـاد مـن الأشـواق أرواحنـا لهـا
تطـــير ولم تجـــزع وأنـــى لهـــا كـــد
لولولولا الذي قد عاقها مـن جسـومنا
لطـارت ولكـن الجسـوم لهـا قيـد
وكنا نظن القرب يذهب بعض مـا
بهـا فـإذا بـالقرب زاد لهـا الوجـد
ولم لا وإن الوصـل محكـم ذكرهـا
غـدا ناسـخاً مـا كـان يقـرؤه البعـد
أتـاح لنـا الـرحمن فيهـا إقامـة
بخـير إلى أن يحـوي الجسـد اللحـد
بجـاه حبيـب الله أفضـل مـن بـه
توســل مــن لم يغنــه الجــد والجــد
عليـه صـلاة الله مـا دام وصـله
يزيـد لـه شـوقي إذا ذكـرت بخـد[١٣٩]

تصور هذه القصـيدة شـعور الحجـاج المسلمين لدى وصولهم إلى مشـارف المدينـة المنورة واقترابهم من الحرم النبـوي، وتعتـبر من عيون الحجازيات في أدب الرحلة سواء مـن حيـث الصـورة الشـعرية أو المعجـم اللغوي أو الارتبـاط المحكـم بـين الأبيـات. فكلمة العيس الواردة في البيـت الأول هـي الإبل البيضاء التي خالط بياضـها شـقرة أو سـواد خفيـف وقـد تطلـق علـى كـرام الإبل[١٤٠].

ويلاحظ أن القسم الأول من القصيدة يتضمن الأبيات الأربعة الأول وهو وصف الرحالة وهم في طريقهم إلى المدينة المنـورة، ويتضح من الفكرة أسلوب الاستفهام الذي يعتبره نواة لها "خليلي ما للعـيس في سـيرها تعدو؟[١٤١]. فيصور العياشـي حالـة الإبـل عندما اقتربت من مشارف المدينـة وأخـذت تسير بسرعة وكأنها تعلم باقترابها من الحرم النبوي، فلـم تعـد تسـير بـبطء كمـا كانـت بسـبب شـدة الحـر والتعـب الـذي أصـابها حيث كانت قد أنهكت الحـداة والسـائقين، وعندما شـعرت بقربهـا مـن مقـام حضـرة

الرسول ﷺ تغيرت حالتها، ولم تعد بحاجة إلى إلحاح في المشي نتيجة لعلمها الفطري كما يقول العياشي بقربها من المكان، فنسيت ما أصابها من حر وتعب. وفي البيت الرابع يجيب العياشي على تساؤله لأصحابه في البيت الأول إذ يخاطبهم بعدم التعجب والاستغراب من سرعة الإبل رغم أنها لا تعرف الطريق مسبقاً بل جاءت هذه السرعة من شدة الشوق للوصول لقبر الرسول ﷺ.

أما القسم الثاني من القصيدة فيعكس فيه العياشي حالة الفرح والسرور الذي عم القافلة بالاقتراب من المكان فإذا "عمرت القلوب بالمسرات ذهلت الأجسام عما تلاقي من المضرات، وإذا تنغمت بروح القرب الأرواح، لم تبال بما حصل من المشقة الأشباح...لقد انتعشت الجسوم بعدما ذبلت، وطلعت شموس الأفراح بعدما أفلت، وانبسطت أنوارها من القلوب إلى الوجوه فأشرقت، وسرى إجلالها وإكبارها من الأفئدة إلى الرؤوس"[١٤٢].

ويلاحظ اندماج صورة الناقة في صورة أعم وأشمل لتشمل سائر العجماوات ومظاهر الكون والعمران والأنوار التي بدأت تتلألأ كلما دنو من قبر الرسول ﷺ حتى كادت أرواحهم تطير من شدة الفرح والسرور بوصولهم إلى هذا المكان المقدس، لولا أن أعاقتها أجسامهم التي تقيدها، وقد عبر العياشي عن ذلك نثراً بقوله "ونحن سائرون وبأجنحة الشوق طائرون"[١٤٣].

المدح: يُعد شعر المديح أحد أبرز الأغراض الشعرية في وهو إحسان الثناء على المرء بماله من الصفات الحسنة والأعمال المجيدة[١٤٤]. وقد يكون مدح ذات أو مدح الآخر على اختلاف موقعه. وقد نظم العياشي في هذا النوع من الشعر الكثير من القصائد التي قالها مادحاً عدد من العلماء الذين التقاهم في المدينة المنورة أو في غيرها من المناطق الأخرى التي زارها أو مر منها خلال رحلته سواء في مرحلة الذهاب أو الإياب.

وكان من بين العلماء الذين امتدحهم العياشي الشيخ أحمد بن محمد بن عبد القادر المالكي أحد الخطباء بالحرم النبوي ومتولي خطبة الفتوى على مذهب مالك بالمدينة[١٤٥]. وقد قال فيه قصيدة من خمسة عشر بيتاً على قافية الياء من البحر الطويل، وقد جاء أول حرف لكل بيت لحروف

"مولاي أحمد الخطيب" بشكل متسلسل، ومما جاء فيها:

مناي وإن عز المنى قرب سيدي
وحتفي على تيسيره عنده بعدي
ولا عذر لي إن لم أته كلفا به
بتيهي ووجدي في محبته رشدي
له همة تسمو على همة السها
ووجه كبدر حل في منزل السعدي
أظن وإن شطت بي الدار بنهم
تعاظم وزري لست أحرم من قصدي
يود فؤادي قربة ليت شعري ما
يكافي به قلبي على ذلك الود
أيعطى عبيدالله حسن جواركم
بطيبة فاز بالمنى جار أحمد
حماه أتيت مثقلاً بجرائمي
ووزري ما أخفيه منه وما أبدي
مددت يدي أرجوه فامتلئت بما
تساقط حول الباب من كثرة الأيدي
دواء ذنوبي في لقاه وإنما
مناي وإن عز المنى قرب سيدي(١٤٦)

يتضح من خلال الأبيات التسعة السابقة أن الحرف الأول من كل بيت من الأبيات الخمسة يشكل كلمة مولاي بينما تشكل الحروف الأولى من الأبيات الأربعة الأخيرة كلمة أحمد.

وامتدح الشيخ شهاب الدين أحمد بن التاج رئيس المؤقتين بالحرم النبوي والذي وصفه بأنه يمتاز بعقل ذكي وإدراك حلي وتمهر في عدد من العلوم النقلية منها أو العقلية، فمما قال فيه:

شهاب الدين مولانا ابن تاجه
فنعم التاج أنجب في نتاجه
فكم من معضل قد حار فيه
أساة الكلم زال لدى علاجه
وكم من فهمه هابت سلوكاً
به العلماء خيم في بجاجه
وكم علم وحلم في حياة
ولين القول ركب في مزاجه
له ذهن توقد من ذكاء
فكل العلم يقبس من سراجه
غدا فرداً فسد مسد جمع
لمن قد أمه في نيل حاجة
عليك به إذا رُمت علماً
ودع عنك المعاند في لجاجه(١٤٧)

وفي قصيدة أخرى مدح فيها الشيخ الملا إبراهيم الكوراني عبر فيها عن شدة شوقه للقائه والرغبة في الاجتماع به والقراءة عليه لما يتمتع به من علم ومعرفة

بكثير من العلوم، فقال فيه مادحاً خمسة وعشرين بيتاً من الشعر على قافية الهاء من البحر الطويل. ويُعد من أكثر الأشخاص الذين امتدحهم العياشي ممن حازوا على هذا العدد من الأبيات الشعرية، ومما قاله:

فما زلت من أقصى البلاد أسوقها
إلى المصطفى خير الورى وهي فارحة
ومن بعده للشيخ كيما يذلها
فتسكن فهي بالرياسة طافحه
فلما وجدت الشيخ لله رائحاً
بروح وريحان وأعبق رائحه
سألت ذوي العرفان عن باب فضله
ومن صار بعد الشيخ للناس فاتحة
فقالوافقالوا أبو اسحق خاتمة النهى
وفاتحة الإحسام أكرم بفاتحه
فيممت هذا الباب أرجو افتتاحه
فها أنذا أدعو وأقرأ فاتحه
أمولاي إبراهيم يامن بفضله
طيور العلا في دوحه المجد صادحه
ببابك عبد طالب لزيارة
لكيما ينال دعوة منك ناجحه
أحبك لا عن رؤية سبقت له
ولكن لأخبار أتت عنك صالحة[١٤٨]

وخلال لقائه مفتي الحنفية الذي كان من أتباع الطريقة النقشبندية[١٤٩] حصلت بينهما مودة وألفة وأخوة في الله، فكتب له أبياتاً منها:

أشهد الله وأملاك السما
وجميع الرسل طراً وكفى
أنني أحببت في الله أخي
وخليلي وحبيبي مصطفى
جمع الدين إلى الدنيا معاً
وحولي من كل خير طرفا
أسأل الله وفاء بالذي
قد عقدنا، فهو يجزي من وفا[١٥٠]

أما المديح النبوي فهو شعر ديني ينصب على مدح خير البرية محمد ﷺ وذلك من خلال تركيزه على سيرة النبي وفضائله النيرة وتعداد صفاته ومعجزاته المادية والمعنوية وكل ما يتعلق بحياته. وقد عرّف زكي مبارك المدائح النبوية بأنها "فن من فنون الشعر أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"[١٥١]. وقد ازداد هذا النظم الشعري بشكل ملحوظ في القرن السادس الهجري وما بعده لاسيما خلال القرن السابع الهجري مع

البوصيري الذي اقترن اسمه بفن المدائح النبوية[١٥٢].

وخلال العهد العثماني أخذ هذا اللون الشعري يتداخل مع قصائد التصوف، وقد حافظ الشعراء المتصوفة على البناء التقليدي لقصيدة المديح النبوي إذ حرصوا على توفير المدحة النبوية كلها من وقوف على الأطلال وتشبيب، ثم ذكر لمعجزات الرسول ﷺ ثم ذكر صفاته الخَلقية والخُلقية، ثم التوسل به إلى الله، ثم الصلاة والسلام عليه[١٥٣].

لقد أورد العياشي شعراً كثيراً في مدح الرسول ﷺ فمما قاله أمام الوجه الشريف خلال وجوده في الحرم النبوي قصيدة من اثنين وعشرين بيتاً على قافية اللام والبحر الطويل:

لوجه رسول الله وجهت آمالي
وتوجيهها من خير صالح أعمالي
إذا لم أوجهها إليه من الذي
يرق لأحزاني سواه وأوجالي
ومن يكشف الكرب الذي أشتكي ومن
يغيث إذا أدعو وينقذ أوجالي

إلى أن يقول:

واخفض صوتي في النداء ببابه
وخفضت لقدري عند ذاك أعلال
عليه صلاة الله ثم سلامه
كذاك على الأزواج والصحب والآل[١٥٤]

وفي قصيدة ثانية على قافية الكاف والبحر الخفيف قال:

يا رسول الإله مالك عندي
حاجة وحوائجي الدهر عندك
أنت عني في غنى وعن الخلق
جميعاً وجئت أطلب رفدك
يا نبي الإله أنت جواد
كيف لا تبلغ الأماني وفدك
فعليك من الإله صلاة
وسلام بحسبي من السوء عبدك[١٥٥]

كما أورد بعض قصائد المديح النبوي لغيره من الشعراء أو الفقهاء، كالقصيدة التي قالها الفقيه الشيخ ياسين بن محمد بن غرس الدين الخليلي[١٥٦] أحد خطباء الحرم النبوي حيث نظم قصيدة في مدح النبي ﷺ عارض بها دالية مشهورة لغيره في وزنها ورويها، وقد اشتملت على خمسة وخمسين بيتاً، ومما قاله فيها:

محمد سيد الكونين والثقلين
والفريقين من قار ومن باد
خير الخلائق محمود الطرائق
معروف السوابق مرجوا لانجاد

حامي الذمار مغيث الجار إن وجلت
قلوب وقادة من فادح أو غاد
هادي الأنام شفيع في الزحام إذا
ضاق الخناق بأرواح وأجساد
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي
يا ملجأ العاكف المضطر والباد

إلى أن يقول في نهايتها:

صلى عليك إله العرش ما مدحت
بلابل الروح في أفنان ميساد
وآلك الغر والصحب الكرام ومن
يقفوهم حال إصدار وإيراد
مع السلام الذي مسك الختام به
يزهو بزهر الربا إن فاح في النادي(١٥٧)

وكتب له خطيب الحرم النبوي أحمد المالكي قصيدتين بالمديح النبوي تبركاً بالرسول ﷺ وتيمناً بذكر بعض أوصافه العلية. إحداهما كانت على قافية اللام من البحر البسيط وتألفت من ستة وعشرين بيتاً، أما القصيدة الثانية فكانت على قافية الميم من البحر البسيط أيضاً وتألفت من خمسة عشر بيتاً، ومما قاله في القصيدة الأولى متحدثاً فيها عن البراق الذي امتطاه ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج ومعجزاته والشواهد التي تؤكد أنه خاتم الأنبياء والرسل الواردة في الكتب السماوية في التوراة والإنجيل والزبور. ثم يختمها بالصلاة والسلام على الرسول وعلى آله وصحبه الكرام:

بشراك يا عين هذا منتهى الأمل
وذا الجواد الذي بالمكرمات ملي
هذا الرسول الذي ما خاب سائله
فاستمطري من ندا إحسانه وسلي
هذا الذي قد رقى فوق البراق إلى
أدنى من ألقاب فضلاً غير منتحل
هذا الذي قد يراه الله جل ثناه
نعمه للورى ينجي من الخطل
محمد أحمد المحمود أفضل من
هدى سواء طريق واضح السبل
محمد أحمد الماحي ببعثته
ريب الطغاة بغاة الزيغ والزلل
محمد سيد الكونين أكرم من
مش على الأرض من جاف ومنتعل
فكم له معجزات ليس ينكرها
إلا الجحود بزور الأفك والجدل
وكم شواهد صدق للنبي أتت
كالشمس ما إن يراها غير ذي مقل
توراة موسى وانجيل مريم قد جاءا
بتصديق وحي في الزبور تلي
بأنه خاتم الرسل الكرام وخير
الخلق طرا من الآتين والأول

عليك أزكى صلاة الله يصحبها
أزكى سلام لدى الإشراق والطفل[١٥٨]

شعر الإخوانيات: وهو أحد الأغراض الشعرية الذي يتناول فيه الشاعر العلاقات الاجتماعية مع أصدقائه ومعارفه في المناسبات الاجتماعية المختلفة. وتركز الإخوانيات على قضايا التقريظ والعتاب واللوم والاعتذار ومناسبات الأفراح والأحزان والمراسلات والمعارضات والمساجلات الشعرية.

١-التعازي والتهاني: اشتملت بعض قصائد العياشي على تقديم التهاني لبعض أصدقائه في بعض المناسبات والأعياد الدينية، ففي مناسبة عيد الفطر، بعث لأحد أصدقائه بالمدينة قصيدة هنأه فيها بهذه المناسبة، أشاد فيها بعلمه داعياً له بطول العمر والصحة والعافية ومما قاله:

ومن أشرقت شرقاً وغرباً علومه
فكان له في نشرها الصيت والأجر
ومن أن يقس أهل العلوم به غدوا
كنجم السهى في جبينه وهو البدر
هنيئاً لك العيد السعيد ومثلكم
تهنى به الأعياد والعام والشهر
وأبقاك ربي كعبة بعباده
يطوف بها من مسّه الجهل والفقر
وعافاك في أهل وجسم وكل من
يلوذ بكم من شر ما يجلب الدهر[١٥٩]

وبمناسبة وفاة ولدي الشيخ حسن البري، أبدى العياشي ألماً لوفاتهما فكتب له رسالة تعزيه اشتملت على اثني عشر بيتاً دعاه فيها للصبر والإيمان بقضاء الله وقدره فقال:

فطب بقضاء الله نفساً فكل ما
قضاه العبد مؤمن غاية الخير
ولست بحمد الله ممن تروعه
وإن عظمت أوجالها صدمة الدهر
لأنك قدري ما يكون جزاء من
يقابل حكم الله إن جاء بالصبر
أعزيك لا أني أسليك بل لما
جرى سنة في الدين مشتهى الذكر[١٦٠]

٢-العتاب واللوم: يذكر العياشي أن الشيخ أحمد عبدالقادر المالكي أحد خطباء الحرم كان يغيب أياماً عن الحرم للاعتناء بأرضه والقيام بأعمال الفلاحة، وذات مرة لم يعد يتواصل مع العياشي ولم يعد مواظباً على الحضور إلى الحرم النبوي إلا أيام الجمعة متذرعاً بكثرة أشغاله وتفقد حياته، فعاتبه العياشي ببيت من الشعر يعذره غيابه عن الحرم بسبب كثرة أعماله في أراضيه،

غير أنه وجه إليه اللوم موضحاً أن هذه الأعمال ليست من اختصاصه ولا تليق به فهو عالم ينبغي أن يتفرغ للعلم والتدريس:

إني لا عذره لكثرة شغله
وألومه إذ ليست من أشغاله(١٦١)

٣-التقريظ: وهو تقليد قديم أخذ به العلماء والأدباء للثناء على الكتاب وذلك بأن يطلب شخص أو شاعر من شاعر أو شخص آخر كتابة وصف أو مدح لكتاب أو غيره بهدف الإشادة له، وإشاعته بين الناس، وربما يشبه اليوم التقديم لبعض المؤلفات من قبل أشخاص ذو شهرة(١٦٢).

وبالرغم من كثرة القصائد الواردة في رحلة العياشي إلا أن هذا النوع من الشعر كان قليلاً، ومن ذلك تقريظ العياشي كتاباً للشيخ عمر بن عبدالقادر المشرفي(١٦٣) بعنوان: "الدر والعقيان في طبائع الإنسان" وتحدث المؤلف في كتابه هذا عن نشأة الإنسان والمراحل التي مر بها، ونقل فيه الكثير من أقوال الأطباء والحكماء والأدباء وما يشاكل ذلك من الآيات والأحاديث. ومما كتبه له العياشي على هذا الكتاب تقريظاً على قافية النون من البحر الكامل قوله:

حب الورى للدر والعقيان
طبع بدا في نشأة الإنسان
عمر بن عبدالقادر الأسمى الذي
خضعت لرفعته علا الأقران
لله ما أسنى فضائله وما
أزكى مواصله على الأخوان
خاض البحار زواخراً فأجاد في
إخراجه الدر العظيم الشان
فأفاد في هذا الكتاب وجمعه
ما لم يفد أحد من الأعيان
وأجاد في ترتيبه وسياقه
فغدا رياضاً ناغم الأغصان
من شك في ذا فليطالع بعضه
تغنيه رؤيته عن البرهان
كم فيه من حكم يلذ سماعها
ويحار فيها ثاقب الأذهان
حسبي فلا أستطع حصر صفاته
ولو استعنت بسائر الأوزان
لا زال جامعه إمام يقتدى
بعلومه في سائر الأزمان(١٦٤)

٤-شعر المطارحة: وهو أن يرسل شخص قصيدة لشخص آخر شعراً يسأله فيها حول قضية معينة، ويجيبه المرسل إليه على سؤاله بقصيدة على الوزن نفسه

والقافية نفسها، ويظهر ذلك في القصيدة التي أرسلها الشيخ رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي المعروف بابن الحنبلي[١٦٥] للشيخ علي بن محمد بن عراق[١٦٦] مستفسراً منه حول القهوة فقال:

أيها السامي لكلتا الذروتين
بجوار المصطفى والمروتين
والعلي القدر علماً وكذا
عملاً فوق علو النيرين
من له في الزهد باع ويد
وهو في بذل الندا رحب اليدين
أفتني في قهوة قد ظلمت
حيثما شيب تعاطيها بشين

فأجابه الإمام ابن عراق بقصيدة على نفس القافية والوزن تكونت من أربعة عشر بيتاً، بين فيها أن شرب القهوة ليس محرماً، فمما قاله:

جاءني منكم نظام قد حكى
في نصوح اللفظ مسبوك اللجين
قلت فيه إن ذي القهوة قد
خلطوها بتلة وبمين
وبمطعوم حرام وغنى
وبرقص وبصفق الراحتين
وطلبت الحكم فيها بعد ما
قد رأيتم رأي عين
وجوابي أنها حل ولا
يقتضي ما قلتم تحريم عين[١٦٧]

٥- **المراسلات**: كتب العياشي لبعض أصدقائه في فاس بقصيدة ثانية تألفت من مائة وخمسة وثمانين بيتاً جدد فيها العهد بهم، مذكراً لهم ما سلف له من رحلهم وقربهم وجلساتهم وهم يتمازحون، واستطرد فيها ذكر مشايخه في فاس مظهراً لمنتهم ومعروفهم عليه، وقد سماها ب "نفثة المصدور إلى الإخوان والصدور" قال فيها:

أحبتنا أل الصفاء والمبرة
بفاس بقيتم دائماً في مسرة
يخيل لي وقتاً قطعناه معكم
أخذناه من طرف الزمان بخلسة
وداد وحب صادق وأخوة
ممكنة في الله مع طول عشرة
ونوبو أصحابي عن أخيكم وقبّلوا
أكف شيوخي وانطقوا بالتحية[١٦٨]

الخاتمة:

يبدو واضحاً من خلال هذه الدراسة أن المدينة المنورة كانت مركزاً ثقافياً وعلمياً مهماً في بلاد الحجاز بل كانت من أبرز المراكز العلمية في العالم الإسلامي بالنظر لمكانتها الدينية وبفضل كثرة العلماء المقيمين والوافدين إليها، فقد ضمت عدداً كبيراً من العلماء من مختلف أنحاء العلماء الإسلامي ممن كان لهم الأثر الأكبر في النشاط العلمي والحركة الفكرية في المدينة. وقد أنتج هؤلاء العلماء مصنفات في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية وغيرها من العلوم الأخرى نقلية كانت أم عقلية. كما يلاحظ أيضاً أن بعضاً منهم تولى إلى جانب التدريس بالحرم النبوي الشريف وظائف دينية أخرى كالإمامة والخطابة والقضاء والإفتاء.

واتضح أيضاً أن المسجد النبوي كان يعج بالحلقات والمجالس العلمية التي لم تكن مقتصرة على العلوم الشرعية من حديث وفقه وتفسير وقراءات، بل اشتملت أيضاً على علوم أخرى مما جعل من المسجد النبوي بمثابة جامعة مفتوحة لكل العلوم.

ولا شك أن رحلة العياشي بما تضمنته من معلومات قيّمة وغزيرة عن الحركة الفكرية في المدينة المنورة من نصوص واجازات وأشعار ومجالس علمية ومناقشات وأسماء علماء وفقهاء وأدباء وعناوين كتب يجعل منها موسوعة علمية جامعة ومصدراً مهماً لا غنى للدارسين عنها لمن يتصدى للبحث في تاريخ الحركة العلمية والثقافية في المدينة المنورة خلال العهد العثماني.

الهوامش:

(١)**رواه البخاري ومسلم.**

(٢)عبدالحميد بن عبدالكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢، ج١، ص٨٣٢. محمد امحزون، المدينة المنورة في رحلة العياشي، الكويت: دار الأرقم للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص٤٧.

(٣)امحزون، **المدينة المنورة**، ص٤٨. محمد ماكامان، **الرحلات المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة الموافق للقرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد**، الرباط: مطبعة الأمنية، ٢٠١٤، ص١٩٨.

(٤)امحزون، المدينة المنورة، ص٤٨.

(٥)**المرجع نفسه**، ص٥٢.

(٦)المحزون، المدينة المنورة، ص٤٨. ماكامان، **الرحلات المغربية**، ص١٩٩.

(٧)عواطف محمد يوسف نواب، **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين – دراسة تحليلية نقدية**، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ٢٠٠٨، ص٤٦.

(٨)**المرجع نفسه**، ص٤٨.

(٩)أبو سالم عبدالله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، ٢ج، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ج١، ص٤٩٩.

(١٠)ماكامان، **الرحلات المغربية**، ص١٩٩.

(١١)**المرجع نفسه**، ص٢٠٠. الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج١، ص٨٣٣.

(١٢)**للاطلاع على عناوين هذه الكتب** انظر: المحزون، المدينة المنورة، ص٥٧-٦٠.

(١٣)الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج١، ص٨٣٣. نواب، **كتب الرحلات**، ص٦٠.

(١٤)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٥٤.

(١٥)**المصدر نفسه**، ج١، ص٥٤.

(١٦)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٥٧.

(١٧)**المصدر نفسه**، ج١، ص٣١٥.

(١٨)**المصدر نفسه**، ج١، ص٣١٥. ويذكر العياشي أن السبب في ذلك يعود لما كان للقبائل البدوية التي تقيم على طريق قافلة الحج الشامي أتاوة سنوية يدفعها أمير القافلة لهم مقابل حماية الحجاج غير أنه في تلك السنة عزل الأمير وعين أمير جديد لا يعرف حال الطريق وأعرابها، فلما جاءته شيوخ العرب أرباب الدرك لأخذ ما كان لهم من عادة من عند السلطنة منعهم من ذلك وأغلظ لهم في القول...فراجعوه في ذلك وناشدوه فصمم على الامتناع، فلما أيسوا منه شنوا الغارة على الركب فنهبوا من الركب شيئاً كثيراً و أخذوا مئتين من إبل الركب وأموالاً لا تُحصى وقتلوا أقواماً. **المصدر نفسه**، ج١، ص٦٧، ص٣٨٦-٣٨٧.

(١٩)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٣٦١.

(٢٠)القرش: نقد فضي عثماني ويساوي ٤٠ بارة أو قطعة مصرية، وكان من أكثر الوحدات النقدية تداولاً. عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس: مطبعة المعارف، ١٩٦٠، ص٣٣٧. سيد محمد السيد محمود، النقود العثمانية تاريخها – تطورها – مشكلاتها، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٣، ص١٠٤. خليل الساحلي، **النقود العثمانية في البلاد العربية**، حولية كلية الآداب، الجامعة الأردنية، م٢، أيار ١٩٧١، ص ١٠٨.

(٢١)الآغا: وهي محرفة من كلمة آقا المغولية وقيل الفارسية المستخدمة صفة للعلماء، وتعني السيد، وقد استعملها الأتراك لدلالات كثيرة، منها أنها كانت تطلق على الضباط الأميين مثل الإنكشارية الذين لا يحتاج عملهم إلى معرفة القراءة والكتابة. ومنها أيضاً صاحب المنصب الكبير. وفي الفترة الأخيرة من العهد العثماني أصبح لقب الآغا يطلق على الإنسان الكريم صاحب المكانة العالية، وصاحب الفضيلة، كما كان يدل في ذلك الوقت ذاته على التكبر والتفاخر. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٥م، ص١٦. محمود عامر، **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية**، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ١١٧-١١٨، كانون الثاني- حزيران، ٢٠١٢، ص٦١.

(٢٢)ويذكر العياشي أن الشقدف هو عبارة عن محمل كبير ذو شقتين توضع كل واحدة على ظهر البعير ويقرن بينهما بحبال وثيقة على ظهره، ولا بد للراكب فيه من معادل له في الجهة الأخرى مقارباً له في الرزانة، ثم يوصل بين الشقتين من أعلى بحبال يظلل عليها الغطاء يقي الحر والبرد. ويذكر أيضاً بأن هذا المركب يُعد "من أشهر المراكب وأهناها، سيما لمن له فرش وثيرة ووسيدة يتكئ عليها من الجانبين، فإنه لا يكاد يحس بأن الإبل تسير به، فقد رأينا من اعتاد الركوب فيه ينام من أول الليل إلى آخره ولا يستيقظ إلا بإناخة الجمل عند النزول وقد لا يستيقظ". الرحلة العياشية، ج٢، ص١٣٦.

(٢٣)**المصدر نفسه**، ج٢، ص١٤٠.

(٢٤)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٣٨٥.

(٢٥)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٣٨٦.

(٢٦)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٢٧. خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مكة: دار الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٥، ص١٤٦.

(٢٧)أمحزون، **المدينة المنورة**، ص٣٩. ماكامان، **الرحلات المغربية**، ص٢٨٦.

(٢٨)عبدالرحمن المديرس، **المدينة المنورة في العصر المملوكي**، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠١م، ص٢٤٥.

(٢٩)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٣٦٥.

(٣٠)حول هؤلاء العلماء انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص٤٧٢-٦٣٥، ج٢، ص١١-١٢٨.

(٣١)وهو فقيه ومحدث، ومن قدماء مشايخ العياشي، اجتمع به لأول مرة في مكة عام

١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م وأخذ عنه ما تيسر وأجازه. المحبي، محمد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤ج، بيروت: دار صادر، د.ت. ج٣، ص١٩٢. **الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٧١.

(٣٢)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٧٢.

(٣٣)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٧٢.

(٣٤)**المصدر نفسه**، ج١، ص٤٧٥.

(٣٥)أحد العلماء ممن تعلموا سائر العلوم العقلية فكانت له فيها الملكة التامة، قصد الحجاز وأقام بالمدينة المنورة، حيث لقي فيها الإمام صفي الدين القشاشي فانتفع به وتلمذ له وتزوج ابنته. ووقعت بينه وبين علماء فارس مراسلة في مسألة الغرانيق والكسب. توفي في المدينة عام ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٤م. الكتاني، فهرس الفهارس، ج١، ص٤٩٢-٤٩٤. محمد بن الحاج بن محمد بن عبدالله الأفراتي، صفوة من انتشر في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبدالمجيد خيالي، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، ٢٠٠٤م، ص٣٥٠-٣٥١.

(٣٦)الطريقة الخلوتية: كان يطلق عليها في الأصل الدينورية نسبة إلى ممشاد الدينوري، ثم سميت فيما بعد بالسهروردية نسبة إلى الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، ثم أصبحت تعرف بالخلوتية نسبة إلى رجالها من آل الخلوتي علاوة على اشتهارها بتربية المريدين على طريقة الخلوة. وكان من أبرز مشايخها من آل الخلوتي عمر الخلوتي المتوفي سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م وهو من لاهج بجيلان. انظر: مصطفى بن كمال الدين الصديقي، الخطرة الثانية الأنسية للروضة الدانية القدسية، تحقيق عبدالرحمن مغربي وعبدالرؤوف خريوش، جامعة القدس المفتوحة: عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ٢٠١٥، ص٧٧. عفيف بن محمد الدين، أضواء على طريقة القاسمي الخلوتية الجامعة، باقة الغربية: **مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات بأكاديمية القاسمي**، ٢٠١٠، ص١٥.

(٣٧)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٧٨-٤٧٩.

(٣٨)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٨٠.

(٣٩)**المصدر نفسه**، ج١، الصفحة ذاتها.

(٤٠)**المصدر نفسه**، ج١، ص٤٨٨.

(٤١)حافظ مشارك، انتسب إلى الطريقة النقشبندية، انتقل من بلاده الهند قدم إلى المدينة المنورة سنة ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م وأخذ يعمل خلال فترة وجوده على نشر العلم، وكان خلال وجوده في الهند قد قرأ على الملا عبدالحكيم الهندي أحد علماء الهند وأعيانها. الرحلة العياشية، ج١، ص٦٢٩.

(٤٢)**المصدر نفسه**، ج١، ص٦٢٩.

(٤٣)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٦٣٤.

(٤٤)**المصدر نفسه**، ج١، ص٦٣٣.

(٤٥)**المصدر نفسه**، ج١، ص٦٣١.

(٤٦)من علماء الحديث، أخذ العلم عن أبيه وعمن أدركه من مشايخ الحرمين، امتاز بسعة علمه ومعرفته بكثير من العلوم فنال بذلك وجاهة عند الأمراء وأرباب المناصب. **الرحلة العياشية**، ج٢، ص١١.

(٤٧)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص١١.

(٤٨)وأصله من صعيد مصر، وإليه تنسب طائفة من طلبة العلم ممن التقى معهم العياشي في الحجاز ومصر، استقر في المدينة المنورة وأخذ يعمل على تدريس أتباع المذهب المالكي ووصفه العياشي بأنه جهوري الصوت وطلق اللسان مع أخلاق حسنة وسلاسة طبع وحسن تودد إلى الناس. **الرحلة العياشية**، ج٢، ص٦١.

(٤٩)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٦٢.

(٥٠)فقيه ومفسر، ولد بمدينة الرملة بفلسطين ودرس بالأزهر، تولى إمامة الحنفية والإفتاء في مصر وأصبح من علمائها ومدرسيها، قدم إلى المدينة سنة ١٠٢٧هـ/ ١٦١٨م وله نظم كثير ونثر غزير كما ذكر العياشي. توفي في المدينة المنورة سنة ١٠٥٦هـ/ ١٦٤٦م. المحبي، خلاصة الأثر، ج٢، ص١٣٤. **الرحلة العياشية**، ج١، ص٦٢٢.

(٥١)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٦٢٢.

(٥٢)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٦٣.

(٥٣)الشيخ نافع العجمي: من علماء القرن الحادي عشر، تولى الإقراء في الحرم النبوي باللسان التركي والفارسي، سكن المدينة المنورة لفترة زمنية، وهو شيخ كبير أصابه مرض برجليه فأصبح يمشي على عكازتين، وذكر العياشي بأن العارفون بلسانه كانوا يمدحونه ويشيدون بعلمه وجودة ملكته. الرحلة العياشية، ج٢، ص٧٧ -٧٨.

(٥٤)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٧٧.

(٥٥)ماكامان، **الرحلات المغربية**، ص٣٧٧.

(٥٦)فقيه حنفي، ولد سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م، واشتهر بتدريس فقه الحنفية بالمدينة المنورة، وكان بالأصل مالكي المذهب ثم تحول إلى الحنفية، وله عدة أولاد ساروا على دربه في انتحال الطلب وكان من بينهم اثنان واظبا على حضور مجلس والدهما ومجلس الشيخ بدر الدين الهندي، وذكر العياشي بأنه كان له بلاغة منطق، ووصل عند الحنفية إلى مستوى رفيع ومنزلة عالية. توفي سنة ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م. المحبي، خلاصة الأثر،

ج١، ص٢٣٠. **الرحلة العياشية**، ج٢، ص٧٨.

(٥٧)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٧٨.

(٥٨)تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تحقيق محمد بن مهدي العجمي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠١٢، ج١، ص١٢٨.

(٥٩)عبدالجليل حسن عبدالمهدي، **الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي**، عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٠، ص١١٦.

(٦٠)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٥٠٧.

(٦١)**المصدر نفسه**، ج١، ص٤٠٤.

(٦٢)**المصدر نفسه**، ج١، ص٥٧.

(٦٣)**المصدر نفسه**، ج١، ص٥٠٦.

(٦٤)نواب، **كتب الرحلات**، ص٥٠٢. وبشأن الفتاوى والإجابات على الأسئلة المتعلقة بتحريم أو تحليل القهوة والدخان انظر: الرحلة العياشية، ج١، ص٢٣٨-٢٤٠.

(٦٥)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٥٠٦.

(٦٦)وهو أبو عبدالله محمد بن سليمان الروداني، ولد سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م بتارودانت ببلاد المغرب ونشأ فيها، ثم ارتحل إلى سجلماسة ومراكش ففاس ثم عاد إلى بلده، ثم ارتحل إلى مراكش ومنها إلى الجزائر ثم إلى المدينة المنورة، حيث أقام فيها منعزلاً عن الناس لا يخرج إلا ليلاً، عمل بالكثير من المهن كالصياغة وتسفير الكتب والخرازة وتجبير الزجاج كما ابتدع آلة في علمي التوقيت والهيئة. توفي في دمشق سنة ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٤م. أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية ١٧٠٩-١٧١٠م، تحقيق عبدالحفيظ ملوكي، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص٤٢١-٤٣٧. المحبي، **خلاصة الأثر**، ج٤، ص٢٠٤. الأفراني، صفوة من انتشر، ص٣٣١-٣٣٣. **الرحلة العياشية**، ج٢، ص٤٣-٥٣.

(٦٧)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٥٧.

(٦٨)نواب، **كتب الرحلات**، ص٥٣٨.

(٦٩)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٥٧.

(٧٠)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٥٢.

(٧١)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٥٣.

(٧٢)أحمد بن محمد عبدالقادر المالكي: واصله من المغرب، وتولى خطة الفتوى على المذهب المالكي في المدينة، وله أخ عمل أيضاً خطيباً بالحرم النبوي. الرحلة العياشية، ج٢، ص٦٤.

(٧٣)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٦٤.

(٧٤)**المصدر نفسه**، ج١، ص٢٧٧.

(٧٥)الجفر هو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر المحتوي على كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً. نواب، كتب الرحلات، ص٤٩٦.

(٧٦)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص١١.

(٧٧)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٧.

(٧٨)وهو من تلاميذ الملا إبراهيم الكوراني وصفي الدين القشاشي، وقد درّس بالحرم النبوي فقه الشافعية. وذكر العياشي بأنه امتاز بمعرفة الكثير من العلوم. وقد كتب رسالة اطلع عليها العياشي تضمنت الانتصار للمذهب الشافعي في الجهر بالبسملة أول سورة الفاتحة وأنها آية منها. الرحلة العياشية، ج٢، ص٧٧.

(٧٩)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٧٧.

(٨٠)ويعرف أيضاً بالشرح المختصر على تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازاني.

(٨١)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٦٣١.

(٨٢)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٦٣٠.

(٨٣)فقيه ومحدث من الجزائر، ولد سنة ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م، عُرف بالثعالبي نسبة لموطنه ثعالبة في الجزائر كما عُرف الجعفري نسبة إلى جعفر بن أبي طالب. له فهرسة سماها كنز الرواة ورتبها على أسماء شيوخه حيث يبدأ بالتعريف بشيخه وذكر مؤلفاته وأسماء شيوخه ثم يذكر كل كتاب قرأه عليه. أخذ عن شيوخ الحرمين كالقشاشي والزين الطبري والزمزي والبابلي وغيرهم. توفي سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م. المحبي، خلاصة الأثر، ج٣، ص٢٤٣. الأفراني، صفوة من انتشر، ص٢٨٣-٢٨٥. الكتاني، فهرس الفهارس، ج١، ص٨٠٦-٨٠٨. **الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٤٦.

(٨٤)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٤٦.

(٨٥)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٤٦.

(٨٦)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٤٧.

(٨٧)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٤٨.

(٨٨)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص١٣٠.

(٨٩)"إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون". سورة البقرة، الآية (٦).

(٩٠)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٧٢.

(٩١)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٧٣.

(٩٢)سورة البقرة، الآية ٧.

(٩٣)سورة البقرة، الآية ٩.

(٩٤)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٧٣.

(٩٥)**المصدر نفسه**، ج١، ص٤٧٤.

(٩٦)ابن منظور، **لسان العرب**، ٩ أجزاء، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٣، ج١، ص٨٦.

(٩٧)ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٨٩. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، **مجمل اللغة، تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ، ج١، ص٢٠٢.

(٩٨)ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٨٨.

(٩٩)عبدالله فياض، **الإجازات العلمية عند المسلمين**، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٦٧، ص٢٩.

(١٠٠)مفتاح يونس الرياصي، **المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٤٩-٨٤٦م، القا**رة: المجموعة العربية للتدريب والنشر، ٢٠١٠، ص١٤٩.

(١٠١)الدرعي، **الرحلة الناصرية**، ص٢٤.

(١٠٢)الدرعي، **الرحلة الناصرية**، ص٢٤. ماكامان، الرحلات المغربية، ص٢٩٢.

(١٠٣)فياض، **الإجازات العلمية**، ص٢١، ٢٤، ٢٧.

(١٠٤)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٥٠٨.

(١٠٥)**المصدر نفسه**، ج١، ص٥٠٦.

(١٠٦)**المصدر نفسه**، ج١، ص٥٠٧.

(١٠٧)**المصدر نفسه**، ج١، ص٤٧٢.

(١٠٨)**المصدر نفسه**، ج١، ص٤٧٥.

(١٠٩)**المصدر نفسه**، ج١، ص٤٧٥.

(١١٠)وهي حرز الأماني ووجه التهاني وهي قصيدة في القراءات للقاسم الشاطبي الأندلسي المتوفي سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م.

(١١١)تيسير الأصول إلى جامع الأصول لعبدالرحمن بن الديبع.

(١١٢)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٢٠.

(١١٣)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٩١-٤٩٢.

(١١٤)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٦١.

(١١٥)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٦٢.

(١١٦)سحر عبدالرحمن الصديقي، **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ٢٠٠٣، ص١٩٤. ماكامان، الرحلات المغربية، ص٢٨٦.

(١١٧)يحيى محمود ساعاتي، **الوقف وبنية المكتبة العربية**: استيطان للموروث الثقافي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٩، ص٣٢.

(١١٨)**المرجع نفسه**، ص٣٤.

(١١٩)**المرجع نفسه**، ص٦٩.

(١٢٠)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص١٣.

(١٢١)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٦٣.

(١٢٢)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٤٣٩.

(١٢٣)وهو أبو النصر قايتباي المحمودي السلطان الحادي والأربعون من السلاطين المماليك، تولى الحكم عام ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م-٩٠١هـ/ ١٤٩٦م. ويُعد من أعظم سلاطين دولة المماليك البرجية. مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجلدان، تحقيق عدنان نباتة، عمان: مكتبة دنديس، ١٩٩٠، ج٢، ص٢٨٢.

(١٢٤)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٥٢.

(١٢٥)المصدر نفسه، ج١، ص٤٧٨-٤٧٩. ص٤٨٧.

(١٢٦)ساعاتي، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص١٥٧.

(١٢٧)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٣٦. كذلك انظر: عبدالغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبدالمجيد الهريدي، القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص٤٣٠

(١٢٨)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص١٢٧.

(١٢٩)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٢٨.

(١٣٠)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٧٨.

(١٣١)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٧٩.

(١٣٢)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٧٩.

(١٣٣)الرحلة العياشية، ج١، ص٨٠-١٢٦.

(١٣٤)نواب، **كتب الرحلات**، ص١٨-١٩.

(١٣٥)عبدالعظيم علي قناوي، **الوصف في الشعر العربي**، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د.ت، ج١، ص٤٢.

(١٣٦)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٢٧٠.

(١٣٧)وادي العقيق: ويقع على مسافة ثلاثة أميال غربي المدينة ويأتي سيله من أماكن بعيدة. **الرحلة العياشية**، ج١، ص٤١٧.

(١٣٨)**المصدر نفسه**، ج١، ص٤١٩.

(١٣٩)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٣٦٨.

(١٤٠)ابن منظور، **لسان العرب**، م٦، ص٥٤٤. ماكامان، **الرحلات المغربية**، ص٢٨٩.

(١٤١)ماكامان، **الرحلات المغربية**، ص٢٨٩.

(١٤٢)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٣٦٧.

(١٤٣)**المصدر نفسه**، ج١، ص٣٦٨. ماكامان، **الرحلات المغربية**، ص٢٩١.

(١٤٤)أحمد أبو قحافة، **فن المديح وتطوره في الشعر العربي**، بيروت: منشورات الشرق الجديدة، ١٩٦٢، ص٢٩.

(١٤٥)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٦٤.

(١٤٦)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٦٦.

(١٤٧)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٢٧.

(١٤٨)**المصدر نفسه**، ج١، ص٤٨٧-٤٨٨.

(١٤٩)الطريقة النقشبندية: وتنتسب هذه الطريقة إلى محمد بهاء الدين شاه نقشبند البخاري ٧١٧-٧٩١هـ/ ١٣١٧-١٣٨٩م، وتمتاز بطريقة خاصة في الذكر، وقد عارضت فكرة وحدة الوجود بفكرة وحدة الشهود، أي أن الوحدة ليست حقيقية وإنما تبدو كذلك. العسلي، معاهد العلم، ص٣١٣.

(١٥٠)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص١٥٥.

(١٥١)زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي**، صيدا: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٣٥، ص١٧.

(١٥٢)عباس الجراري، **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**، الدار البيضاء في مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٢، ص١٤١. مشهور الحبازي، الحياة الفكرية في بيت المقدس من خلال رحلة الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية للشيخ عبدالغني النابلسي المتوفي سنة ١١٤٣هـ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مجلد ٢٩، عدد١١٤، ٢٠١١، ص٩٢.

(١٥٣)الحبازي، **الحياة الفكرية**، ص٩٢.

(١٥٤)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٤٦٨.

(١٥٥)**المصدر نفسه**، ج١، ص٤٦٩.

(١٥٦)واصله من بلد الخليل بفلسطين، استوطن بالمدينة المنورة آخر أمره وتولى بها عدة وظائف من إمامة وخطابة وتدريس، وكان معظم تدريسه بالحرم النبوي في صحيح البخاري وكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، توفي سنة ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م انظر: المحبي، خلاصة الأثر، ج٤، ص٤٩٣. الرحلة العياشية، ج١، ص٦٢٠-٦٢١.

(١٥٧)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٦٢٦.

(١٥٨)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٦٥-٦٧.

(١٥٩)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٢٤١.

(١٦٠)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٦٢.

(١٦١)**المصدر نفسه**، ج٢، ص٦٤.

(١٦٢)الحبازي، **الحياة الفكرية**، ص٩٠.

(١٦٣)عالم وفقيه من مدينة غزة التقى به العياشي في غزة ووصفه بأنه "المشارك في فنون العلم، المتخلق بأخلاق ذوي الفهم والحلم...وله في البحث قوة إنصاف" وقرأ عليه العياشي بعض صحيح البخاري وأجازه وله في الرواية سند قوي وكان من بين شيوخه الشيخ الصالح التمرتاشي والشيخ غرس الدين الخليلي والشيخ شهاب الدين الخفاجي المصري. **الرحلة العياشية**، ج٢، ص٤٦٣.

(١٦٤)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص٤٦٤.

(١٦٥)محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي الملقب برضي الدين ابن الحنبلي، مؤرخ من علماء حلب تولد وتوفي فيها ٩٠٨-٩٧١هـ/ ١٥٠٢-١٥٦٣م، له أكثر من خمسين مصنفاً. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، بيروت: دار العلم للملايين، ٨ مجلدات، م٥، ص٣٠٢.

(١٦٦)علي بن محمد بن علي بن عبدالرحمن ابن عراق الكناني ٩٠٧-هـ/ ١٥٠٢-١٥٥٦م، فقيه متصوف ولد في دمشق ورحل إلى الحجاز، حيث تولى الإمامة بالمدينة المنورة وتوفي فيها، ومن مؤلفاته "تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة" وقد أهداه للسلطان سليمان القانوني. وله رسالة صغيرة في تاريخ الطائف بعنوان "نشر اللطائف في

قطـر الطـائف". الزركلـي، الأعـلام، م٥، ص١٢.

(١٦٧)**الرحلة العياشية**، ج١، ص٢٤٠.

(١٦٨)**الرحلة العياشية**، ج٢، ص١٤٩.